شذرات من حياة وشعر

العلامة ابن معتوق

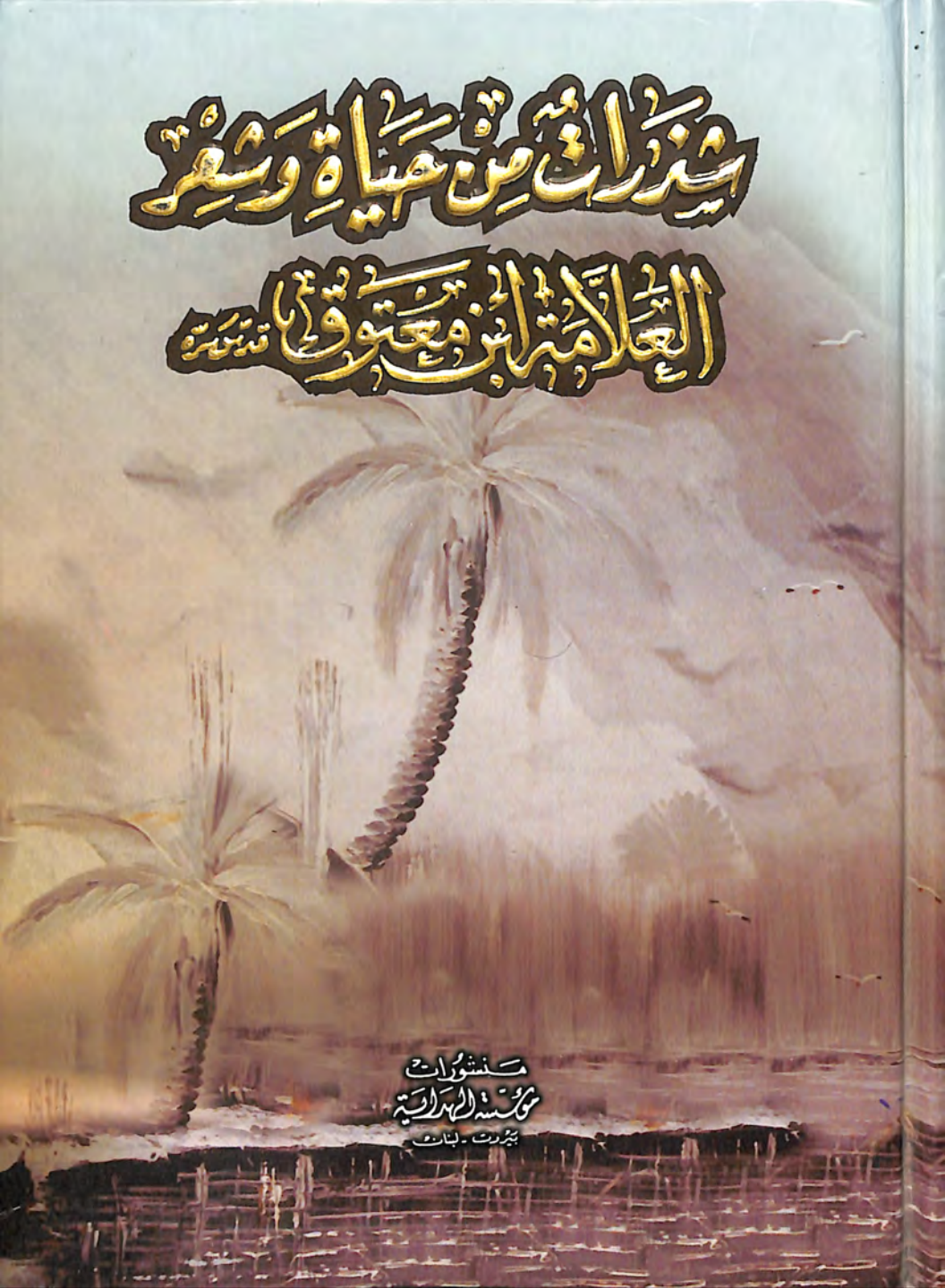

منشورات
مؤسسة الهداية
بيروت - لبنان

شذرات من حياة وشعر

العلامة ابن معتوق

بسم الله الرحمن الرحيم

شذرات من حياة وشعر

العلامة ابن معتوق قدس سره

موقع الأوحد
Awhad.com

منشورات
مؤسسة الهداية
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

منشورات

مؤسسة الهداية
بيروت - لبنان

بيروت ـ لبنان ـ هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢ - ٧٠٠٦٦٦٩١ - ٠٠٩٦١
سوريا ـ دمشق ـ ص.ب: ٧٣٣ ـ السيدة زينب ـ محمول: ٠٠٩٦٣٩٤٤٣٥٦٥٨٤ و ٠٠٩٩٤٠٧٣٥٥٤
البريد الإلكتروني: E-mail: mnmnmn3@hotmail.com

عبقرية الإمام ابن معتوق

يهمني جداً تدوين هذه العبقرية، وتخليد مالها من المآثر والآثار وتزيين كتابي هذا (الأزهار) بشذرات من عقد تاريخها المجيد، ولكن كيف تتسنى لي الإحاطة بشؤون تلك الحياة السعيدة، وتاريخ تطوراتها وقد عرفت ما عليه سيرة السلف من أهالي بلادنا (القطيف) من عدم الاعتناء بتدوين التراجم، وضرب الصفح حتّى عن ذكر زعماء الدين، بل الشخص نفسه ربما يجتهد في إخفاء ما له من المآثر والآثار، ويرى أنّ إظهارها بين الناس وتسطيرها في كتاب من باب (تزكية المرء لنفسه)، المنهي عنها في القرآن والحديث، غفلة عن قوله عزّوجلّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] وعن قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2].

بل ربما يتألم أكبر زعيم ديني من إنشاد بعض المدائح في حقه كما

---

(١) الضحى: ١١.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٣٣٧، البحار ٨: ٤٨.

صادفت أنا جناب المولى صاحب الترجمة حين إنشادي قصيدتي الرائية الآتي ذكرها قائلاً: (أنا لا أستحق المدح) يقول هذا والكدر يرى في صفحات وجهه الكريم، فإذا كان هكذا حاله فكيف تميل نفسه الطاهرة إلى تدوين ترجمته وجمع أقوال العلماء في حقه، وتأليف شعر الشعراء في شأنه؟! لهذا قاسيت شتى المتاعب في تأليف هذه الترجمة، وقد تمّت في طيّ أُمور:

١ ـ **نسبه:** هو آية الله العظمى، الإمام الشيخ عبد الله بن معتوق ابن الحاج درويش ابن الحاج معتوق ابن الحاج عبد الحسين ابن الحاج مرهون البحراني البلادي القطيفي التاروتي. والحاج مرهون المذكور هو جدّ الشاعر الشيخ حسن التاروتي، وهذا الشاعر المقدس له ذرية إلى اليوم، منهم إبراهيم ابن الحاج محمد ابن إبراهيم بن محمد ابن الشيخ حسن بن محمد ابن الحاج مرهون المذكور.

٢ ـ **ميلاده:** كان ميلاده المبارك ومطلعه السعيد في سنة ١٢٧٤ هـ تقريباً.

٣ ـ **ابتداؤه في طلب العلم:** في سنة ١٢٩١ هـ، وهو حينئذٍ ابن ثماني عشرة سنة تقريباً، ابتدأ في طلب العلم متتلمذاً على العلّامة الشيخ علي ابن الشيخ حسن آل الشيخ سليمان البحراني القديحي، المتوفى يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة

١٣٤٠ هـ، ثم على العالم الربّاني الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح آل طعان البحراني، المتوفى صبيحة عيد الفطر سنة ١٣١٥ هـ، فما زال يدرس عنده إلى أن هاجر إلى النجف الأشرف.

٤ ـ **هجرته إلى النجف الأشرف:** في سنة ١٢٩٥ هـ، وهو حينئذٍ ابن اثنتين وعشرين سنة تقريباً، هاجر إلى النجف الأشرف، فأقام في العراق مدة تقرب من أربعين سنة، أقام شطراً مهمّاً منها في النجف الأشرف لطلب العلم الديني، ثم في كربلاء المعلّى. وفي مجموع هذه المدّة قد تلقى الدروس الدينية، وأحاط خبراً بجميع المسائل الشرعية الأصولية والفرعية، حتى حصلت له ملكة الاجتهاد المطلق، وشهدت له أهل الخبرة بذلك، كما ستقف عليه (إن شاء الله تعالى) عند نقل تلك الشهادات والإجازات الكريمة.

٥ ـ **أوباته إلى الوطن:** في أثناء إقامته في العراق آب إلى وطنه (القطيف) ثلاث أوبات:

أمّا الأولى، فهي في سنة ١٣١٢ هـ، وهي التي سافر فيها بعد وصوله البحرين إلى العقير، ثم إلى الأحساء، واستقام مدة هناك يتلقى بعض الدروس عند أستاذه العلّامة الشيخ محمّد بن عيثان (أعلى الله مقامه)، ثم آب إلى وطنه تاروت (القطيف)، واستقام فيها مدة يسيرة، فتزوج الزواج الثاني بالسيدة الكريمة بنت السيد ماجد ابن السيد حسين من أهل الدبابية المتوفّى في سنة ١٣٠٣ هـ، ثم سافر إلى

العراق.

وأما الأوبة الثانية، فهي في سنة ١٣١٨ هـ تقريباً، أقام في وطنه آونة من الزمان، ثم عاد إلى العراق.

وأمّا الأوبة الثالثة، فهي في يوم الأربعاء السادس عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٢٧ هـ، ومعه زوجته مراتب بنت الحاج علي ابن الحاج محمّد الجشّي، المتوفاة ليلة ١٣٣٧/٣/٢٤ هـ، وتوفي أخوها لأبويها عبد الرزاق في القلعة من القطيف ٤/٢٣ سنة ١٣٢٧ هـ. وكانت هذه الأوبة على أثر الحرب العظمى، بعد ما احتلت الدولة البريطانية البصرة، وأتّهم عند كوكس نائب الحاكم الملكي العام بأنّه جاسوس يحمل كتباً من أهالي العراق إلى أهالي البصرة، فجعله النائب تحت الملاحظة، وجعل عليه رقيبين من حيث لا يشعر بهما، ولما سمع علماء العراق بذلك كتبوا إلى النائب بتبرير مسلكه وتنزيه شأنه، وأنّه بريء الساحة وسليم الجانب عما أتّهم به، وأنّه قد شغله زهده وتقواه وورعه بالأمور الدينية عن الأمور الدنيوية، فعند ذلك هيّأ له باخرة تسافر به إلى البحرين مع كمال الزاد والمتاع والاستعداد، حتى وصل البحرين.

ولما وصل البحرين طلب منه سكّان الباخرة أن يكتب لهم صكّاً بأنّه وصل سالماً لم يصبه منهم ما يكدره ويؤذيه، فكتب لهم ذلك. هكذا سمعت.

أقول: وقد رأيت المكتوب الذي أرسله إليه نائب الحاكم الملكي بالبصرة، تاريخه ١٣٣٦/١١/٢٧ هـ، وهو لا يشعر بالتفصيل السابق، والله أعلم بالصواب.

٦ ـ كراماته: حقاً أقول: إنّ لهذا العبقري الفذّ كرامات باهرة ومناقب زاهرة، دالّة على وجود قرب معنوي بينه وبين خالقه تعالى وتقدّس، ولكنها لا تعتدل على أفكار أهل العصر الحاضر؛ لذلك طوينا عن ذكرها كشحاً، وضربنا عن نشرها صفحاً. وكيف لا ينكرون كرامات العلماء الروحانيّين، وقد أنكروا الكثير من معاجز الأنبياء والمرسلين وكرامات الأوصياء القدّيسين؟ ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾[1]؟! ولا بأس بالإشارة إلى ما ربما يسهل على بعض الأفكار:

فمن ذلك: ما سمعته ممَّنْ أثقُ بحديثه من أنّه كان مسافراً إلى كربلاء مع جماعة، وكان المولى ـ حينئذٍ ـ مجاوراً فيها، فلما أرادوا التوجّه إلى النجف الأشرف التمسوا منه أن يتوجه معهم على (العربة)، فلم يجبهم إلى ذلك، وقال لهم: تقدموا أنتم على العربة وأنا أجيء على المطي ـ أي الحمار ـ فتقدموا قبله فما وصلوا إلى باب النجف إلّا وهو يمشي أمامهم فتعجبوا من ذلك.

ومن ذلك: أنّه كنت أنا والشيخ طاهر البدر زائرين له في تاروت ذات

---

(١) الأنعام: ٥.

يوم من الأيام، فلما صار وقت الظهر حضر معنا المولى، وقدم لنا الغداء، وكنا محتاجين إلى الأكل جداً، ونحن نعتقد أن الطعام المقدّم لا يكفي فكيف إذا تغدى معنا الشيخ؟ ولكن قلنا: لا حيلة لنا إلّا الصبر والقناعة. فبينما نحن نتغدى وإذا بثلاثة رجال طوال من سادات العجم قد أقبلوا من مكان بعيد، لا نظنهم إلّا محتاجين، فقال لهم المولى: «بفرما»، أي تفضلوا، فجلسوا على السفرة، فأكلنا من ذلك الطعام والأدام، حتى شبعنا ثم رفع وفيه بقايا، ولا ريب أن هذا من كراماته.

٧ ـ **قربه المعنوي**: ويعجبني هنا أن أذكر بعض المنامات الدالّة على القرب المعنوي بينه وبين ربّه الكريم، وساداته المعصومين عليهم السلام، نقلتها من خط الفاضل الشيخ علي آل الشيخ سليمان القديحي البحراني (دام توفيقه)، ما لفظه باختلاف يسير:

حدثني الأكرم الشيخ محمد رضا ابن الحاج محمّد سعيد القارىء الكربلائي، وذلك في شهر شعبان سنة ١٣٣٢ هـ أنّه سافر إلى خراسان لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، قال: فكنت أزور الرضا عليه السلام كثيراً حتى لامني بعض الأحبة على ذلك، فاتفق أنّي رأيت ذات ليلة في المنام كأن ذلك اللائم قد جاءني وقال لي: أنت تحبّ الزيارة كثيراً فقم الآن نمضي إلى الزيارة.

فقلت له: جزاك الله خيراً.

ثم قمت وأسبغت الوضوء ومضيت معه إلى الحضرة الشريفة، فدخلنا وإذا الإمام الرضاعليه السلام مسند ظهره الشريف إلى الشباك، وله وجه منير لكنه مشوب بخضرة وعليه عمامة خضراء، أفرق الثنايا، فلما رآنا قال: «مرحباً بزوّارى».

فعلمت يقيناً أنه الإمام الرضاعليه السلام، فسبقت صاحبي ووقعت على قدمي الإمام فقبلتهما، ثم جعلت أنظر إلى وجهه المنير، وأنا أفكر في الخضرة التي فيه. فقال لي:

«إن هذه خضرة السمّ». فلما سمعت ذلك منه جرت دموعي على خدّي، ثم قال لي: «اخرج واستقبل صاحبك».

فقلت له: مَنْ صاحبي؟

فقال: «هو أمين شريعة الدين الحنفي».

فقلت: يا سيدي فمَنْ هو؟

قال: هو الذي تزورني عنه في كلّ يوم. قال: وكنت أزوره في كلّ يوم عن المولى حجة الإسلام الشيخ عبد الله بن معتوق، حيث إنّي أوعدته بذلك، فخرجت وإذا هو جناب الشيخ المولى، فتعانقت معه وقلت:

الحمد لله على قدومك المبارك.

فقال لي: أظننت أنكم تغلبونني؟ ثم دخلنا الحضرة المقدّسة، فسلّم الشيخ على الإمامعليه السلام، وأخذ يده فقبّلها.

فقال له الإمام: «مرحباً بأمين شريعتنا».

ثم دنا من الإمام فوقف معه وجعلا يتناجيان، وكأنه يسأل الإمام عليه السلام وهو يجيبه، ثم قبّل يده، وأتينا لنصلي، فانتبهت وإذا بالمناجي على المنارة الشريفة، فظننت أنه أذان، وإذا هو قبل الصبح بساعة ونصف.

ومنها: ما لفظه باختلاف يسير أيضاً: وحدثني الأكرم الشيخ محمد رضا المذكور، أنّه رأى ذات ليلة في المنام كأنّه في الحضرة الرضوية، وقد رأى في خروجه جناب الشيخ عبد الله المذكور مع الشيخ علي ابن الحاج حسن الجشي، جالسين في الرواق الشريف.

قال: فقلت لهما: أُزوّركما؟

فقال له الشيخ علي ـ من باب المداعبة والمزح ـ: ما عندنا قمريات.

فقلت له: ما أريد قمريات، وأنا أضحك معه.

فقال: توكّل على الله تعالى. فأخذت اللوح الذي فيه الرخصة التي أوّلها «اللّهمّ إنّي وقفت على باب بيت نبيّك»... إلى آخره، فاستأذنا، فإذا الإمام واقف متكئ على الضريح المقدّس.

فقال: «أهلاً بزوّاري».

فتقدّما وسلّما عليه وقبّلا يديه ورجليه، فالتفت عليه السلام إلى الشيخ علي المذكور، وقال له: «سلّم إليه أمرك تسلم ـ وأشار إلى الشيخ عبد الله المذكور ـ فإنّه أمين شريعتنا». فبهت الشيخ علي، وكأنه أوهأ برأسه،

فعرفت في قلبي أنّه قال: سلّمت، انتهى.

٨ـ إجازاته وهي خمس:

الأُولى: من العلّامة العلم السيد علي أصغر الغروي الخثائي، وهي مجهولة التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يستوجب من نعمه بأسبقها، ومن قسمه بأوفرها، ومن عناياتها بأحقّها، ويتكسب في دار البقاء من الدرجات أعلاها مكاناً، وأسناها محلاً، وأشرفها قدراً لديه زلفى، ويحظى عنده بما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، والصلاة والسلام على النبيّ الأُمّي الذي فضّله بفضله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وبعثه بالدين القويم إلى العالمين بشيراً ونذيراً، وآله الغر الميامين، حملة الدين ومشارع اليقين.

وأمّا بعد: فلما كان التفقه في الدين واجباً على نوع الإنسان في كلّ زمان، قام عليه بمقتضى العناية الربانية في كلّ حين وآن جمع من ذوي الأبصار الثاقبة وأُولي الفِكَر المنيرة الناقبة، بَحيث أتعبوا أنفسهم في التدبر في مدارك الأحكام، والنظر في مسائل الحلال والحرام، وعرفوا مقاصد الشرع المبين، ووصلوا إلى أحكام سيد

---

(١) النجم: ٣، ٤.

المرسلين، وصاروا كافلين لضعفاء الشيعة وأتباعهم المنقطعين عن إمامهم، وناشرين لأحكامهم بين المسلمين، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[١].

ومن جملتهم ومن ذروتهم الذي مَنَّ الله به على العباد، وارتقى إلى ذروة الفقه والاجتهاد، العالم الكامل المحقق، والفاضل السديد المدقّق، التقيّ الوفيّ الصفيّ، ثقة الإسلام ومرجع الأحكام، الشيخ المهذّب الورع المعتمد، جناب الشيخ عبد الله القطيفي؛ فإنّه (أدام الله بقاه ومن كافة الأسواء وقاه) بذل عمره الشريف في تحصيل علوم الدين، والارتقاء بمدارج اليقين، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وحوى الملكة المستقيمة التي عليها الاعتماد فوق ما يؤمل ويراد، وهو حقيق أن يرجع إليه ما يرجع إلى الفقهاء الكرام. الراد عليه رادّ على الله ورسوله، وهو على حدّ الشرك بالله. وأَسأله ألّا ينساني من الدعاء في الخلوات فإنّه مجاب الدعوات.

الثانية: من حجّة الإسلام العلّامة الأوّاب، السيد أبي تراب، تاريخها سابع عشر ربيع الأوّل سنة ١٣١٩ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العالمين، ومفضّل مدادهم على دماء

---

(١) الأنفال: ٤٢.

الشهداء المجاهدين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد استجاز منّي جناب الشيخ السديد، والأخ الرشيد العالم العامل السعيد، والفاضل الكامل الوحيد، البالغ إلى عليا رتبة الفقاهة والاجتهاد، وقصوى درجة التقوى والسداد، العالم الربّاني والفاضل الصمداني، الشيخ عبد الله ابن الشيخ معتوق البحراني (نفع الله بفضله الأقاصي والأداني) فأجزت له أن يروي عنّي جميع ما صحّت لي روايته من كتب الأخبار، لا سيّما السبعة التي عليها المدار، (الكافي) و(الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(الوافي) و(الوسائل) و(البحار)، وسائر مصنفاتي عن مشائخي، ومنهم علّامة الفقهاء والمجتهدين الشيخ محمّد حسين الكاظمي النجفي، وزبدة المحقّقين الشيخ لطف الله المازندراني، والفاضل المتبحر الشيخ محمد باقر ابن المرحوم المحقّق النقي الشيخ محمّد تقي (أعلى الله مقامهم ودرجاتهم) بحق روايتهم جميعاً عن الشيخين المحقّقين: الشيخ محمّد حسن النجفي، والشيخ مرتضى الدزفولي الأنصاري (أعلى الله مقامهما) عن مشائخهما المعلومين من كتب الإجازات بطرقهم المتّصلة إلى الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين). وقد أذنت له أيضاً (أدام الله تأييده) في التصرّف في سهم الإمام عليه السلام

وإيصاله إلى مستحقه من الأنام، وسائر ما يتوقف عليه من إذن نائب الغيبة بالتمام، حيث إنّه (دام بقاه) طلب الإذن منّي في ذلك كلّه احتياطاً من شدّة ورعه وتقواه.

وألتمسُ من جنابه الدعاء في مظانّ الإجابة في حال الحياة، وطلب المغفرة لي بعد الممات.

الثالثة: من السيد المولى السيد أبي تراب أيضاً، تاريخها يوم ١٣٢٤/٢/١١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد:

حمداً لله تعالى على نعمه الغامرة، والصلاة على سيّدنا محمّد وعترته الطاهرة.

فإنّ جناب العالم العيلم، والبحر الخضمّ، والطود الأشمّ، قدوة المحقّقين، وحيد الدهر وفريد العصر، الشيخ عبد الله ابن المرحوم الشيخ معتوق القطيفي البحراني (دام ظلّه على المسترشدين) مجتهد مطلق يحرم عليه التقليد، وله القضاء والفتوى والتصرّف في الأمور الحسبيّة بما يشاء، وللناس الرجوع إليه في أمور الدين، وأخذ معالم الدين، وهو ثقة مأمون في الدين، وبالغ أعلىٰ مراتب التقوى. وقد أجزت له في الرواية في السنين السابقة، بعد أن حضر عندي في الفقه والأصول مدة سنين، إلى أن وصل إلى حقائق

العالمين، وإنما كتبت هذه الكلمات تأكيداً وإثباتاً للشهادة، والله خير شاهد ووكيل، وهو لنا في السرّ والجهر كفيل.

الرابعة: من حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد تقي آل الشيخ أسد الله، تاريخها اليوم العاشر من شهر جمادى الثاني سنة ١٣٢٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطاهرين.

لا يخفى على ذوي العقول، وأهل المعرفة والنقول أنه كما يجب معرفة الإمام بالدليل القاطع، ولا يجوز أخذ الدين عنه إلّا معرفته بالبرهان الساطع، كذلك يجب معرفة نائبه العام المنصوب من قبله؛ لبيان الأحكام بالأدلة المعلومة الحجيّة؛ عقليّة أو نقليّة، ومنها ما جرى عليه الديدن من سالف الزمن بين أهل الفن من الإجازات المتعارفة بين علماء الطائفة، حيث إنّها من أقوى الشهادات في مثل هذه المقامات؛ لأنّها لا تصدر منهم إلّا في حقّ مَنْ وقفوا على حقيقته، وعرفوا منه العلم والتقوى، والصدق في نيّته، والوثوق في عدالته.

وحيث استجازنا جناب العالم الرباني، الشيخ عبد الله ابن الحاج معتوق القطيفي البحراني احتياطاً في الدين وعملاً بسنن الماضين، وبعد أن وقفنا على بعض معلّقاته، واطّلعنا بالاختبار والامتحان على

جملة من تحقيقاته، وجدناه أهلاً للإجابة، قد جمع المنقول والمعقول، وحاز ملكة ردّ الفروع على الأُصول، مع تحقيق في طول باع، وإحاطة بموارد الاختلاف والإجماع، وقد دخل بذلك في سلك المجتهدين، وعاد إمام المحقّقين، لا ينقض حكمه ولا ترد فتواه، والرادُّ عليه رادّ على الله. وقد أجزناه أيضاً أن يروي عنا جميع ما رويناه، عن مشائخنا الكرام، سلسلة متصلة بالإمام عليه السلام. نفعنا الله والمسلمين بدعائه، ومتّعنا والمؤمنين بطول بقائه، مؤيّداً منصوراً مبجّلاً مسروراً بالنبيّ الأمين وآله الميامين، سلام الله عليهم أجمعين.

الخامسة: من حجّة الإسلام، السيد محمد الحسيني الكاشاني، تاريخها اليوم الرابع والعشرون من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٦ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضّل علم الأحكام على سائر العلوم، كما فضّل القمر البازغ على سائر النجوم، وكشف ظلام الشبهة بأنواره الساطعة، وهدىٰ الضالّين بنجومه اللامعة، وسقى بغيوثه الهامعة القلوب الواعية والآذان السامعة، واصطفى لحمله الأتقياء الأزكياء، وفضّل مدادهم على دماء الشهداء. والصلاة على محمد المبعوث لإفهامه ونصب أعلامه وتقرير أحكامه، وعلى آله آل الرحمة،

وشفعاء الأمّة العلماء الصالحين الراشدين الهادين المهديين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وجعلهم للخلق ملجأ وظهيراً، فطوبى لمَن استمسك بحبلهم، واستظلّ بظلّهم، واستضاء بساطع أنوارهم، وشنّف السمع باستماع أخبارهم وأتعبها في تحصيل أحكامهم، لينالوا قرباً من مقامهم. وممَّنْ نال بحمد الله هذه المرتبة الرفيعة، والدرجة السامية المنيعة هو ممهّد قواعد الأحكام، مهذّب مسالك الحلال والحرام، محقّق شرائع الإسلام، غاية المراد والمرام، كاشف الغطاء واللثام، مصباح الظلام، علم الأعلام، ثقة الإسلام، العالم اللوذعي والعيلم الألمعي، التقي النقي، الرضي الزكي، الوفي الصفي، جناب الشيخ عبد الله القطيفي، فإنّه (أدام الله بقاه، ومن كافّة الأسواء وقاه) بذل عمره الشريف في تحصيل العلوم عامة، وعلوم الشريعة خاصة، وجمع بين المعقول والمنقول، وتمكّن من ردّ الفروع على الأصول، وحوى سبيلَي السداد والرشاد، وترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فله رفع الخصومات في مقام المرافعات، فيجوز للمقلِّدين تقليده، ويجب عليهم تأييده وتسديده.

وأرجوه ألّا ينساني من الدعوات في مظانّ الاستجابات، وألّا يترك طريق الاحتياط؛ فإنّه سبيل النجاة.

إجازته للعلّامة الميرزا موسى الحائري

بتاريخ يوم السبت ١٣٣٣/٦/٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ الأشياء بمشيئته، وابتدعها بقدرته، وقدّرها بإرادته، ودبّرها بحكمته، واخترعها بلا احتذاء مثيل ولا نظير، ولا معاونة معين ولا ظهير، سبحانه من ملك قاهر قدير حيّ قيوم عليم سميع بصير، لا يخفى عليه كبير ولا صغير، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض من جليل ولا حقير، ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، الذي شرّف نوع الإنسان وفضّله على سائر ما برز من عالم الإمكان، وعلّمه البيان وأفهمه التبيان، وكرّمه دون سائر المخلوقات، ورزقه من الطيّبات، وجعل له التكليف بإطاعته وعبادته، لطفاً يعرج به إلى سماء سعادته، ويجلس به مجلس القرب منه بإجابته، ويشرب من سبيل ماء المحبّة بإنابته، والسابقون السابقون أُولئك المقرّبون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أحمده حمداً لا عدد له ولا أمد، ولا نفاد له طول الأبد، المتعالي عن العدّ والحدّ، وأُصلّي على أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا، ووجهه الباقي الذي لا يهلك ولا يفنى، ومقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفه بها مَنْ عرفه من جميع الأمكان، لا فرق بينه

وبينها إلّا إنّهم عبيده وخلقه، وبيده فتقُ كلٍّ منها ورتقُهُ، وبهم ملأ سماءه وأرضه، وأظهر بسطه وقبضه، وجعلهم محالّ مشيئته وألسنة إرادته، ومظاهر قدرته، وأوعية حكمته، وأبواب معرفته، وهم السابقون إلى إجابته، مظهر اسمه، البديع ومَنْ بهم الصنيع، ومنهم المنادي والسميع، فهم علل الصنع والإيجاد، ومصادر الفيض والإمداد، والإعضاد والإشهاد، والمناة والأذواد، والحفظة والرّواد، خزنة علم الله، وحملة وحي الله، وحفظة سرّ الله، الداعون إليه والدالّون عليه، الأركان والأبواب، والحجّاب والنوّاب، إليهم الإياب وعليهم الحساب، ومنهم الثواب والعقاب، وعندهم علم الكتاب، أعني بذلك: تلك الذوات الزاكية الشريفة الطاهرة، والحقائق العالية المنيفة الفاخرة، الشموس الطالعة، والكواكب اللّامعة، والأنوار الساطعة، سادة الخلائق أجمعين، محمّد النبيّ الأمين وآله الطيبين الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين).

ثم السلام على أشياعهم الصالحين وأتباعهم الناصحين، خصوصاً العلماء الراشدين والأزكياء المتقين والأصفياء المقربين، والهادين المهديين، الأمناء على الدين من قبل الأئمة الطاهرين الذين هم أبوابهم ونوّابهم وخلفاؤهم ووكلاؤهم وحججهم على مَنْ دونهم، والحافظون لأسرارهم، والمقتفون لآثارهم، والعالمون بأخبارهم،

والمجتهدون في إحياء دينهم وإظهار أمرهم وإعلاء كلمتهم، والناشرون لألويتهم وأعلامهم، القائمون لجهاد مَنْ ناواهم على أقدامهم، الرامون لهم بسهام أذهانهم وأفكارهم وألسنتهم وأقلامهم.

فلله درّهم حيث بذلوا جِدّهم وجهدهم في استماع جوامع الكلم المرضية، واستنتاج فوائدها الجلية والخفية، واستعملوا مشاعرهم في اقتناص المعارف الحقّية، واقتبسوا من وميض لوامع النار الطورية، ومشارق الشموس والأقمار النورية ما اهتدوا به إلى غوامض الأسرار الغيبية من دقائق الحكمة الإلهية العرشية، وخاضوا تيار قعار تلك الأنوار بأرجل صوافي الأفكار، ونظروا بوافي التدبير والاستبصار، واستضاؤوا بمصابيح الهداية، وبلغوا من مقاصدهم النهاية، فأدركوا الشافي من مطلبهم، والكافي من مأربهم، قد ولجوا حين لجّوا، ووجدوا حين جدّوا، واتصلوا إذ وصلوا، وبما أملوا انفصلوا، رابحة تجارتهم، وافرة بضاعتهم، حيث استخرجوا من صدف بحر الإيقان والإتقان غوالي اللآلي والدرر، ومن أسفاط كنز العرفان الجواهر الغرر، وكشفوا الغطاء عن وجه الطريقة بمزيد البيان والتبيان، فانكشفت لهم أسرار الحقيقة وسرائر الخليقة بساطع البرهان، وصرفوا أعمارهم في تشييد أركان معالم الدين وشرائع الإسلام، وقصروا همّهم على إحكام قواعد الأحكام وتنقيح مسائل

الحلال والحرام.

فشكر الله سعيهم وأجزل ثوابهم ورفع لهم في جنانه الدرجات، وضاعف لهم بإحسانه الحسنات، وجعلنا بمنّه وجوده من السالكين مسالكهم، والمدركين مداركهم، والسائرين في عوالم حقائقهم، والسابحين في بحار دقائقهم، والسائحين في رياض حدائقهم، والمجتنين من ثمار فوائدهم، والطاعمين من عوائد موائدهم، إنّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

أمّا بعد:

فلا يخفىٰ أن أهمّ المطالب وأجلّها، وأتمّ المآرب وأكملها، وأنفع المقاصد وأصلحها وأرجحها وأنجحها، هو التفقه في العلوم الدينية، وإحكام أحكامها؛ الكلية والجزئية، العقليّة والنقليّة، الأصوليّة والفروعيّة، وأجلّ ذلك وأقدمه وأعلاه، وأهمّه وأولاه، وأفضله وأسناه ما يوصل منها إلى معرفة الله وصفاته، لا بطمع الوصول إلى حقيقة ذاته؛ إذ لا يمكن أن تحيط به الأوهام، ولا تصل إليه الأذهان والأفهام؛ لأنها لا تحوم إلّا حول نفسها، ولا تدرك إلّا ما هو من جنسها، فإن الشيء لا يتجاوز مبدأه، ولا يتعدى صقعه وحدوده. انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله. الطريق مسدود، والطلب مردود، ولا مسرح هناك للعقول، ولا سبيل إلى الوصول (تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً). فكلّ ما ميّز

بالأذهان في أدقّ مَعانيه فهو مخلوق مردود إلى مميّزه ومُعانيه، بل إنما يُعرف بما عرّف به نفسه، ووصفها في كتابه، وعلى ألسن أوليائه ونوّابه، وبما خلقه في الآفاق وفي الأنفس من آياته وعجائب مخلوقاته، مما يستدلّ على وجوده وإثباته، كما أشار إليه بقوله عزّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾[1]:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد[2]

وقد ذكر سبحانه وتعالى في سورة ﴿حَم﴾ السجدة وغيرها جملة كثيرة من الآيات الواضحة، والبراهين اللائحة، تعيها الآذان الواعية، وتراها عيون البصائر الصافية، ولسنا بصدد بيان هذا المقام؛ لاستدعائه طول الكلام المخلّ بما نحن بصدده من المرام، وإنما استطردنا هذه الجملة تنبيهاً للغافلين، وتحريكاً للمتكاسلين.

ويتلو ما ذكرنا في الأهمية، والفضل والأتمية معرفة النبيّ ﷺ والوليّ عليه السلام الذي هو إمام الزمان المنصوب من قبله، ونائبه المبلِّغ عنه، وخليفته في أُمّته، وذلك في كل زمان وأوان؛ إذ لا تخلو الأرض من عامل عليها يقوم بأمر الله عزّ وجلّ، ويدعو إلى الله، يقوم وجود

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) البيت لأبي العتاهية جوامع الجامع ٣: ٤٣٠.

العالم بوجوده، ويستقيم بفضله وَجوده، ولولاه لفسدت السماوت والأرض، وهلك مَن في الطول والعرض، ففي الزيارة الجامعة **«وبكم ينزّل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه»**[١].

وهو الحافظ لدين الله، ينفي عنه تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، ويزيح شبه الملحدين، ويبطل تأويل الجاهلي[٢]: كما وردت بذلك الأخبار عن السادة الأطهار، فلا يعذر أحد بجهله، ولا يسعه إنكار فضله، بل لابد من معرفته واتّباع سيرته.

والطريق إلى ذلك كالطريق إلى الله تعالى من النظر في بينات آياته، وبراهين معجزاته، وأغلى مَن ذلك وأعلى معرفته بالنورانية، يصل إليها مَنْ سبقت له العناية الإلهية باستعداد القابلية، وإخلاص النية، (جعلنا الله تعالى من الفائزين بهذه المرتبة، والحائزين لهذه المنقبة، ببركة نبيّه ووليّه).

وكذلك العلم بالمعاد، وما يجب فيه من الاعتقاد على طبق الطريقة الإلهيّة، والشريعة المحمّدية، كما هو ثابت عند الإماميّة الاثني عشريّة، بالأدلة العقلية والنقلية، وليس بعدما ذكر من المعارف أجلّ قدراً، وأعظم فخراً وأكبر شأناً، وأعلى مكاناً إلّا ما يتوصل به إلى

---

(١) التهذيب ٦: ٩٨.

(٢) انظر: بصائر الدرجات: ١/٣١، الكافي ١: ٢/٣٢.

الطاعة الإلهيّة، والعبادة المرضيّة، وتنال به الدرجات العليّة، والسعادة الأبديّة، وهو علم الفقه، أعني: معرفة الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، واستخراجها من أدلتها التفصيلية، ويتبع ذلك معرفة ما يتوقف عليه من المقدمات، كعلم العربية والتفسير والحديث والدراية والرجال، وغير ذلك مما له دخل في تحصيله وتناوله، كما هو مذكور في محلّه.

وحيث إنّ تلك الأحكام الجليلة والمطالب النبيلة ليست مشرعة لكلّ وارد، ولا قنطرة لكلّ عابر؛ لأنها حمى الله ومحارمه، وأحكام دينه ومعالمه، لا ينالها إلّا ذو حظّ عظيم، ولا يجوزها إلّا مَنْ سبقت له من الله الحسنى في العالم القديم. وقد جعل الله تعالى لها أهلاً وحفظة، وأوعية وحملة وخزنة يحفظونها ويصونونها ويؤدّونها إلى أهلها، أولئك هم العلماء الراسخون في العلم، الذين اصطفاهم الله بعلمه وارتضاهم لغيبه واختارهم لسرّه واجتباهم بقدرته، وأعزّهم بهداه وخصّهم ببرهانه، وانتجبهم لنوره وأيّدهم بروحه، ورضيهم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته، وأنصاراً لدينه، وحفظة لسرّه، وخزنة لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمةً لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلّاء على صراطه، وهم أهل بيت العصمة، ومعدن العلم والحكمة، ومهبط الوحي والتنزيل، وأمناء الرب الجليل الذين

عصمهم الله من الزلل، وآمنهم من الفتن، وطهّرهم من الدنس، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

والحقُّ معهم وفيهم وبهم ومنهم وإليهم، فالعلم كله عندهم، وفي بيوتهم، وهي البيوت التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(١) أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وهم أولئك الرجال المسبّحون فيها بالغدو والآصال، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولا ينطقون إلّا عن الله، ولا يشاءون إلّا ما يشاء الله، ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

فاللازم على كلّ مَنْ حاول أن يحوز هذه المرتبة ويفوز بهذه المنقبة أن يطلب منهم ما حاول، ويستمدهم ما أراد أن يتناول، فإنه لا يناله من غيرهم، هيات هيهات، أبى الله ذلك إلّا أن يدخل في سلك المتعلمين منهم، والمتمسكين بحبلهم، والمهتدين بهم، والسالكين سبيلهم؛ فإنه الطريق القويم، والصراط المستقيم الذي هو صراط الله وسبيله وبرهانه ودليله، ولا يعرّج على السبل المنحرفة، والطرق المختلفة، فيضلّ ضلالاً بعيداً، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾(٣).

---

(١) النور: ٣٦.
(٢) الانبياء: ٢٧.
(٣) الأنعام: ١٥٣.

فعليه أن يدخل البيوت من أبوابها، ويتلقى العلوم من أربابها، فلا مناص عن التمسك بهم والالتزام بأخذ معالم الدين منهم، ومـمَّنْ أخذ عنهم من حيث إنّه كذلك، وليس في زماننا هذا الذي حرمنا فيه من التشرف بمشاهدتهم، والتمتع بالنظر إلى أشخاصهم، إلّا الأخذ بأخبارهم وآثارهم، والعمل بمقتضىٰ مـا ورد عـنهم مـن أقـوالهـم وأفعالهم وتقريراتهم. ثمّ إنّه لا يجوز التعويل على كـل كـتاب ولا الإصغاء إلى كل خطاب، ولا الأخذ بكلّ أثر، ولا الركـون إلى كـلّ خبر، لما هو موجود من وجود الدسّ في أخبارهم من المخالفين لهم، وكثرة الكذب عليهم.

فعن النبيﷺ أنّه قال: «**ستكثر القالة علّي**»[١]، «**فإذا جـاءكم عـني حديث فاعرضوه على كتاب الله العزيز، فإنْ وافقه فاعملوا بـه وإلّا فردوه**»[٢]. وعن الصادق (عليه الصلاة والسلام): «**إن لكل رجل منا رجلاً يكذب عليه**»[٣].

وأمر المغيرة بن سعيد وكثرة دسّه في الأخبار مشهور[٤]، فلابدّ من التحقيق والتعيين، وتـمييز الغث مـن السـمين، فـيؤخذ بـما تـلقّاه أصحابنا (رضوان الله عليهم) بالقبول لو شهدت القـرائـن المـفيدة

---

(١) المعتبر ١: ٢٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المعتبر ١: ٢٩.
(٤) رجال الكشي: ١٩١ ـ ١٩٢ / ٣٣٦، ٢٢٣ ـ ٢٢٤ / ٣٩٩ ـ ٤٠١.

للاطمئنان بكونه صادراً عن آل الرسولﷺ، مع مراعاة الشرائط المذكورة في محلّها للعمل بالأخبار، وإن وقع في بعضها الخلاف من علمائنا الأخيار، على حسب ما يراه صاحب الملكة القدسية والقوة النفسية الفعلية لاستنباط الأحكام الشرعيّة من الأدلة التفصيليّة، ويختار من كتب الحديث ما عرف مؤلّفه بالوثاقة والحذاقة، وكان مقبولاً عند هذه الفرقة الناجية.

ومن أعظم ما يحتاج إليه الناقل لتلك الأخبار تحمّل الروايات وتلقيها ممَّنْ وصلت إليه من الرواة، بحيث تتصل بأصلها، وترتبط بأهلها، لينعكس ما أشرق فيها من فاضل نور الإمامعليه السلام في مرآة قلبه عند المقابلة، وليتدرّج بذلك في سلسلة الرواة، ليكون من أغصان تلك الشجرة المباركة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، ويكون حينئذٍ مستودعاً لتلك الأمانة وحافظاً لتلك الوديعة، ولذا رغب فيه من سلك ذلك السبيل، ليشرب من ذلك السلسبيل، فليصنها صوناً بليغاً، ولا يؤدّها إلّا لأهلها، ولا يضعها إلّا في محلّها.

وأعمّ طرق التحمل فائدة وأكثرها استعمالاً خصوصاً في هذه الأزمنة هو الإجازة، وحيث صدر الأمر اللازم الامتثال، من جانب الأخ الأكرم بل المولى الأفخم والركن الأعظم العالم العيلم العلم، والبحر الزاخر الخضم، المحامي عن شريعة سيّد المرسلين، والمقتفي لآثار

الأئمة الطاهرين، مستخرج جواهر العلوم من الكنوز بفهمه الوقّاد، ومستنتج غوامض المعاني من الرموز بصافي ذهنه النقّاد، العارف الحكيم، والفقيه العليم، الشيخ الجليل والفاضل الكامل النبيل ذي المآثر والمفاخر، الحاج الميرزا موسى سليل العلّامة الأوحد، والعلم المفرد، المرحوم المبرور الميرزا محمد باقر ابن الميرزا محمد سليم التبريزي (سلّمه الله تعالى وأيّده، وسدّده وأرشده) حيث إنّه (دام مجده) أمر هذا العبد الأحقر أقلّ الخليقة، بل لا شيء في الحقيقة، بأن يوصل إليه ما وصل إليه، وأن يؤدي إليه ما اؤتمن عليه مما تلقّاه من المشائخ الرواة ما قد تلقوه من أمثالهم يداً عن يد منتسباً إلى الأئمة عليهم السلام الهداة، والسادة والولاة (عليهم من الله أفضل الصلوات). فامتثلت أمره العالي، وأجزت له أن ينقل عني جميع ما صح لي نقله وروايته، وجاز لي إجازته بجميع أنحاء التحمّل من كتب الأخبار الساطعة الأنوار، والأدعية والأذكار، والخطب والمواعظ العلية المنار، ولا سيّما (نهج البلاغة) و(الصحيفة السجاديّة) المحتوية على كنوز الحقائق والأسرار، وسيّما الكتب الأربعة، التي عليها المدار في الأعصار والأمصار، المشتهرة اشتهار الشمس في رابعة النهار، للمحمّدين الثلاثة الأبرار، وهي: (الكافي) و(الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار)، والجوامع الثلاثة، وهي (الوافي) و(الوسائل) و(البحار)، وسائر ما صنّف وألّف من علماء الإسلام في

العلوم الشرعية والمعارف الحكمية من العقلية والنقلية.

فإنّي أروي ذلك ـ سماعاً أو قراءة أو إجازةً ـ عن جملة من مشائخي الكرام وأساتيذي العظام وعلمائنا الأعلام، ولنقتصر على ذكر بعضهم طالباً للاختصار لضيق الوقت عن الإكثار:

فمنهم: الشيخ الجليل والفاضل النبيل، بحر علوم المعارف الربّانية، وعين الحكمة الإلهية، والحاوي للعلوم الشرعية العقلية والنقلية، شيخي وأُستاذي ومن عليه اعتمادي، الأمجد الأوحد التقي الشيخ محمّد ابن الشيخ عبد الله آل عيثان الأحسائي (قدّس الله روحه ونفسه، وطيّب رمسه) عن جملة من مشائخه الكرام الأعلام، منهم العالم الباهر والحكيم العالم العامل الماهر، وحيد زمانه، وعديم أقرانه في أوانه، البحر الزاخر الميرزا محمّد باقر ابن الميرزا محمد سليم التبريزيّ أصلاً والحائريّ مسكناً ومدفناً، عن العالم الفاضل والعرّاف الكامل ذي الشأن الرفيع العلّامة الفهّامة الحاج الميرزا شفيع التبريزيّ، وعن الحكيم الكامل والعارف الفاضل قدوة الأنام وعماد الإسلام الناصر للمذهب والدين، والثقة المؤتمن، الميرزا حسن الشهير بگوهر. كلاهما يرويان عن العالم الربّاني والعارِف السبحاني محيي الدين وركن المؤمنين، وحيد العصر وفريد الدهر، قطب رحى الهداية، ومحور كرة الإفادة والرعاية، كاشف رموز أسرار الحقيقة، وموضّح مبهمات الشريعة والطريقة، السيد السند

والركن المعتمد، فخر الأعاظم السيد كاظم الرشتي أصلاً والحائري مسكناً ومدفناً (طاب ثراه).

ومنهم: السيد الجليل، والعالم النبيل، والعارف الحكيم الفقيه المتفنن في العلوم الذي ليس له في عصره مثيل، السيد السند، الزكي، السيد مهدي الحلي النجفي الشهير بـ(القزويني)، عن السيّد الأجل المتقدّم ذكره، أعني: السيد كاظماً الرشتي عن جملة من الأجلاء الكرام والعلماء الأعلام الذين منهم ناموس الدهر وتاج الفخر وعلّامة العصر، موضّح الحقيقة والطريقة، ومحيي الشريعة على الحقيقة، الحكيم الربّاني والعارف السبحاني، والفريد الذي ليس له ثانٍ، أعلم العلماء ورئيس الحكماء، وقدوة الفقهاء، العرّاف بالله والمقتفي في مطالبه لأولياء الله، والمتخلّق بأخلاق الروحانيين، والمتمسك بحبل الله المتين، عماد الملّة والدين، والعالم الأوحد الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي (طاب ثراه).

ومنهم: الشيخ الأعلم الأعظم، والعماد الأقوم، قدوة الأنام، وعلم الأعلام، وصفوة الفضلاء الكرام، وعلّامة علماء الإسلام، شيخنا الشيخ موسى ابن المرحوم الشيخ جعفر، الآتي ذكره.

ومنهم: العلم العلّامة، الفاضل الفهّامة، سالك مسالك التحقيق، ومالك أزمة الفضل بالنظر الدقيق، مهذّب مسائل الدين الوثيق، ومقرّب مقاصد الشريعة من كل فجّ عميق، جامع شوارد أخبار

الأئمة الأطهار، وناشر خفايا آثار أولئك الأبرار، (عليهم سلام الله الملك الجبّار)، السيد السند الأوّاه، جناب سيّدنا السيد عبد الله ﷺ.

ومنهم: العالم العامل، والفاضل الكامل، ذو المناقب والمفاخر، والمزايا والمآثر، العارف الأجل المولى الوالي، جناب الملّا علي.

كلُّهم جميعاً يروون عن الشيخ العظيم الشأن، الساطع البرهان، كشاف حقائق الشريعة بطرائف من البيان، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[1]، نور الأنوار شيخنا الشيخ جعفر النجفي ﷺ.

ومنهم: الشيخ الأعظم والبحر الخضم والطود الأشم، بحر العلوم والأسرار، الدرّ الفاخر، والنور الباهر، الآقا محمد باقر البهبهاني، عن والده الأكمل، المولى الأجل المولى محمّد أكمل، عن المولى الأجل الأعظم، غوّاص بحار الأنوار، ومستخرج كنوز الأخبار، وجواهر الآثار، الذي لم تسمح بمثله الأعصار والأدوار، ولم تشاهد نظيره الأبصار والأمصار، المؤيّد المسدّد بالفيض القدسي، مولانا محمد باقر المجلسيّ (طاب ثراه)، عن والده العلّامة الفهّامة، النقي محمّد التقي المجلسيّ، عن عيبة العلم والعمل وجامع الأدب والفضل، نبراس التحقيق، ومشكاة التدقيق، بهاء الملّة والدين محمد، عن شيخه ووالده الأمجد، الفقيه الأوحد، الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثّي، عن شيخه العالم الإمام، الجامع لعلوم الإسلام،

---

(١) الرحمن: ٥٦.

المبيّن لمسالك الأحكام، زين الدين علي بن أحمد، الشهير بـ(الشهيد الثاني)، عن عدّة من مشائخه المعروفين المذكورين في إجازة الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد البهائي.

منهم: الشيخ الأعظم شيخ علماء الزمان، ومربي الفضلاء الأعيان، الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الميسي، عن الشيخ الإمام السعيد ابن عم الشهيد، شمس الدين محمّد بن محمد بن داود، الشهير بابن المؤذن الجزيني، عن الشيخ ضياء الدين علي ابن الشيخ السعيد العالم الفريد، شمس الدين الشهيد محمّد بن مكي، عن والده، عن جملة من مشائخه، قراءة وسماعاً وإجازة.

منهم: العالم المحقّق والإمام المدقّق، فخر الدين أبو طالب محمّد بن العلّامة الأكبر الحسن بن يوسف المطهّر، والسيد الطاهر ذو المجدين السيد المرتضى، وعميد الدين عبد المطلب ابن السيد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن الأعرج الحسيني العبيدلي، والسيد الأكبر العالم، السيد نجم الدين مهنّا بن سنان المدني، والسيد الجليل أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن الحسن بن زُهرة الحلي، والسيد النسابة العلّامة النقيب، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم بن معية الحسيني الديباجي، والشيخ العلّامة قطب الدين محمد بن محمد الرازي شارح (المطالع) و(الشمسية) وغيرهما.

والعلّامة اللبيب والفاضل الأديب الشيخ رضي الدين أبو الحسن علي بن جمال الدين أحمد بن يحيى المعروف بالمزيدي، والشيخ الإمام المحقّق الشيخ زين الدين، أبو الحسن علي بن طراد المطارآبادي، بحقّ رواياتهم عن الشيخ الإمام العلّامة، سلطان العلماء وبرهان الحكماء، جمال الملة والحق والدين، الحسن ابن الإمام سديد الدين، يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي، عن والده، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن محمد بن يحيى بن فرج السوراوي، عن الشيخ هبة الله بن رطبة، عن الشيخ أبي علي الحسن عن أبيه الشيخ العلّامة والفقيه الفهّامة، ناشر الأخبار على جهة الاستبصار الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن السيد المرتضى علم الهدى، علي بن الحسين الموسوي، وأخيه السيد رضي الدين محمد بن الحسين، والشيخ سلّار بن عبد العزيز الديلمي، والشيخ أبي عبد الله الحسن بن عبد الله الغضائري، والشيخ هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن محمّد التلعكبري، عن الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي عمرو الكشيّ، وعن الشيخ السعيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان الملقّب بالمفيد، عن الشيخ الإمام الفقيه الصدوق، أبي جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمي، والشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، عن الصدوق، عن أبيه علي بن الحسين وجعفر بن محمّد بن قولويه، عن الشيخ الإمام رئيس

المحدّثين ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني، بأسانيده المتّصلة إلى أرباب العصمة والطهارة (سلام الله عليهم) المذكورة في (الكافي).

وقد أجزت لجناب المشار إليه (أيدّه الله تعالى) أن يروي عني إجازة بحقّ روايتي عن هؤلاء العلماء المذكورين وغيرهم، ممَّنْ هم في طرّة إجازتي بطرقهم إلى مشائخهم المثبتة أساميهم في المواطن المألوفة، والمواضع المعروفة، والإجازات المفصّلة، جميع ما تقدم من الأصول والأخبار والآثار وجميع ما لمشائخي المذكورين، وغير المذكورين، من المصنّفات والمؤلّفات والفتاوى، مراعياً لجميع ما اعتبره أهل الدراية في الرواية سالكاً طريق الاحتياط، الذي هو سبيل النجاة والهداية، باذلاً ما منحه الله سبحانه من العلم لأهله، ملازماً الإخلاص في طلبه وبذله، وألّا ينسى هذا العبد المذنب القاصر المقصّر من الدعاء الخاصّ، خصوصاً في الخلوات، وأعقاب الصلوات عسى أن تهبّ علي نفحة من النفحات الزاكيات من تلك الدعوات، فإن ربي قريب مجيب، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سادات خلقه محمّد وآله الطاهرين.

٩ ـ مدائحه:

قد مدحه كثير من الشعراء الكملاء، وجملة من الظرفاء الفضلاء، منهم الشيخ كاظم الصحّاف الأحسائي، مدحه بقصيدة غراء رائية

عددها ثمانية عشر بيتاً، منها هذه الأبيات:

حليف التقى من قد غدا بحديثه ... يحدّث عنه كل مَنْ كان أبصرا
صفيٌّ وفيٌّ لا نظير لذاته ... سوى أنه كالشمس كان مؤثرا
تجلّى له نور المعارف فاتقوا ... فراسته تلك العظيمة منظرا
فلا زال في الأكوان مصباح نوره ... منار هدى للسائرين إلى القرى
كما رضي الهادون يأوي بُنَيَّهُمُ ... ويكفله عن أن يزلّ ويعثرا
فيا نجل معتوق المعظّم قدره ... إليك من (الصحّاف) نظماً محبّرا
يفوح شذاه بالثناء مرتلاً ... لأن شذاه بالوداد تعطّرا

أقول: وقد مدحته أنا أيضاً بقصيدة رائية عددها ثمانية عشر بيتاً:

أيا راكباً مرقالة سِره لك الخيرُ
إذا جئت تاروت انزلن فلك الأجرُ
وبلّغ سلامي أرض تاروت وانتشق
ثراها الذي قد فاح منه لنا العطرُ
وقل يا رُبىٰ تاروت أنت حَرِيّةٌ
بأن تغتدي حصباؤك الأنجمَ الزهرُ
لئن فخرت أرض القطيف ببقعة
ففي أرضك النورا يكون لها الفخرُ
سموت ببيت قد حوى علم الهدى
هو الشيخ عبد الله والعالم الحبرُ

وصل نحو هذا المنزل الأقدس الذي
له فوق هام الفرقدين علا القدرُ
وقُلْ يا حمى فيه الهدى حلَّ والندى
ففيه لذا حبر وفيه لذا بحرُ
سموت على المريخ والمشتري فلا
يضاهيك نسر في العلوِّ ولا غفرُ
حويت أخا العلياء والمجد والذي
عرا زحلاً لما رأى طوله قصرُ
هو الشيخ عبد الله والحجّة الذي
إليه على هذا الورى النهي والأمرُ
هو الآية الكبرى الذي منه قد بَدت
مكارم شتى حار من بعضها الفكرُ
هو الجوهر الفرد الذي لم يكن له
نظير وهل يأتي بمثل له الدهرُ
هو العابد الأوّاه والزاهد الذي
له الزهد ينمى والتعفف والفخرُ
هو العلم العلّامة الفيض والذي
إلى العلما سلطانها ولها الفخرُ

هو المرتضى بحر العلوم مفيدهاال

صدوق هو الشيخ النصير هو الصدرُ

هو العالم الفيّاض والكاشف الغطا

عن الشرع إذ غطاه بالشُّبهِ الكفرُ

له فرج قد زفّ حسناء غادة

وليس لها إلّا رضاه بها مهرُ

عليه سلام الله ما هبّت الصبا

على غُصُن يزداد ليس له حصرُ

١٠ ـ مكاتباته:

أقول: وقفت على مكاتيب كثيرة تعدّ بالمئات، مرسلة إليه من جميع طبقات الناس، وكلّها حسنة جميلة جديرة بالذكر والتدوين، ويعجبني أن أذكر هنا منها شيئاً يسيراً:

فمنها: مكتوب من السيّد هاشم ابن السيد علي الأحسائي، كتبه بمناسبة تعزيته بوفاة الفاضل الشيخ عيسى ابن الحاج محمّد السنّي، وتاريخ الكتاب ١٥ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٥ هـ، وكانت وفاته في شهر رمضان من عام التاريخ:

عمدة العلماء المحققين، وزبدة الحكماء المدقّقين، العالم الفاضل الجليل، والكامل النبيل، شيخنا ومولانا الشيخ عبد الله معتوق، (دام علاه).

تسليمات بلغت الأقصى مِنْ حد التراكم والتواتر، وتحيات حازت الأوفى من رتبة التضافر والتكاثر، تهدىٰ لحضرة مَنْ جاس خلال ديار شامخات العلوم، وداس تلال مصاص باذخات الرسوم، في بحار أنوار المعارف، وفاض من أرجائه فيض آثار العوارف، الكاشف بدقيق فكره الثاقب رموز المشكاة، والجامع بحدسه الصائب بين مفترق الشتات، العالم العامل العلّام، والحبر المعتمد الفهّام، مرجع الأزكياء العظام، (دام ظلّه العالي على رؤوس الأداني والأعالي).

وبعد:

فالداعي الأهم لجرّ عنان القلم، هو الفحص والاستعلام عن ذاتكم الزكية، وطلعتكم السنيّة صانها ربّ البريّة عن حوادث الزمان، ونكبات الدهر الخوّان، جعلكم الله في أتم حال عند ذي الجلال، بمحمد وآله الأبدال.

وأمّا نحن فبحمد الله الكريم المتعال في أكمل الأحوال، غير أنه قد بلغنا وفاة المقدّس الشيخ عيسى (رضوان الله عليه) فتكدر منا البال، فعظّم الله لكم الأجر، وأحسن لكم العزاء، وحشره الله مع الأئمة النجباء، إنّه على كلّ شيء قدير.

ومنها: مكتوب من المولى السيد ناصر، المتوفىٰ ثالث شوال سنة ١٣٥٨ هـ، نجل العلّامة السيد هاشم الأحسائي، المتوفّى سنة ١٣٠٩

١٣٠٩هـ، كتبه له بمناسبة الحثّ والتأكيد على إنجاز (الحاشية) والتعليقة على رسالة والده المذكور، حسب حاجة المقلّدين لصاحب الترجمة، بعد تقدّم وعده لهم بها. والكتاب خالٍ من التاريخ، وهذا نصه:

لحجة الإسلام، وكهف الأنام، ومرجع الخاصّ والعامّ، شيخنا الأعظم وعمادنا الأقوم، الشيخ عبد الله المحترم (دام علاه وبهر سناه) ـ:

بعد السلام الوافر والدعاء المتكاثر، نسأل بتمام الشوق عن تلك الأحوال، حَرَسَها ذو الجلال بعين عنايته، وتولّاها بتأييده وتسديده بلطف منته، ونشرح من أحوالنا ما لا يخلو من بركات دعائكم ولطيف عنايتكم، فإنّا لذلك على حسب ما تحبّون وترجون، لا نشكو إلّا ألم وحشة فراقكم (فرّج الله عنّا بملاقاة طلعتكم، وجمع الله بيننا وبينكم). والمرجوّ من عميم إحسانكم ألّا تخلونا من دعواتكم الشريفة كما هو مأمول، ومن غريق إحسانكم مبذول، وأن تعذرونا من عدم التشرف بالمكاتبة، فإن ذلك رفع الكلفة من جنابكم بالمجاوبة، فإنا نرجو ونأمل أنكم مشغولون بالمطلب المهم المتقدّم إليه الإشارة، وهو ما رجونا من الحاشية التي هي والله واجبة بالوجوب المنجز، التي لا يسع فيها التأخير، وهذا ليس إلزاماً من الحقير، بل هو أقل وأحقر، وإنما هو بيان الواقع ليس فيه مجاز ولا

مسامحة.

فالله الله فيّ وفي إخواننا المؤمنين فإنه مأخوذ بعنقي، وأنا آخذ بك، فعجّل بكلّ ما تتمكن، ولا تؤخر، فهذا غير خفيّ عليكم أنه ليس فيه وظيفة التأخير ولا تحْوِجونا إلى أزيد من هذا، بحقّ الله ورسوله وأوليائه الطاهرين، ونسأل الله تعالى أن يرحمنا وإياكم بهم، ويعيننا على طاعته إنّه أرحم الراحمين.

ومنها: مكتوب من الفاضل الشيخ حسين بن محمد الدندن الأحسائي، كتبه له بمناسبة بعض السؤالات، وتاريخ الكتاب ١٣ / ١٣٥٨ هـ:

إلى حضرة علم الأعلام وحجة الإسلام، مولانا الأعظم وعمادنا الأقوم، التقي الزاهد، الورع الأوّاه، مولانا الشيخ عبد الله، نتيجة المقدّس الحاج معتوق المحترم (دام علاه):

السلام على مَنْ كست ذاته الأخلاق الربانيّة، وهذّبت أخلاقه الرشحات السبحانيّة، فهو في حد ذاته القدسيّة برياضة نفسه اللاهوتيّة متجرد، وفي بدائع خلال الصفات الكماليّة متفرّد، ورحمة الله وبركاته على الدوام.

ثم السؤال عن أحوال القطب لدائرة المكارم، والشمس المتجلّية بمظاهر الإشراقات في العوالم، لا زال ملحوظاً بالعنايات، ومفاضاً عليه من الإمدادات، بحقّ سيد السادات محمّد وآله الهداة.

مولانا، قد بلغنا من بعض الإخوان أنّه قد أجزتم له العمل بما في (العروة)، بشرط لزوم احتياطاتها، فإنْ يكن الأمر كذلك، فنرجو من ألطاف المولى الأعظم (أيّده الله تعالى) أن يعرفنا. وقد كتبنا لكم من قبل من خصوص البنتين الغائبين أبواهما، فالرجاء منكم الجواب. لازلتم ملحوظين بعناية ربّ الأرباب، ونرجوكم الدعاء وإبلاغ السلام السادات والمشائخ وكافة المتعلّقين، كما منّا السادات والمشائخ ينهونكم السلام، والسلام على المولى الأعظم كما بدأ يعود، ورحمة الله وبركاته.

ومنها: مكتوب من الشيخ محمّد ابن الشيخ محمّد علي بن جبران، كتبه له بمناسبة بعض الاستفتاءات، وتاريخ الكتاب ٢٩ / ١١ / ١٣٦١ هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام نحو جنابكم، فإنّ سلامي لا يليق ببابكم، سمو المولى الأعظم والعالم العيلم علم الأعلام وثقة الإسلام، ونائب الإمام وباب الأحكام، وكهف الأنام، وآية الله الملك العلّام، العقل البسيط والبحر المحيط، فخر الحكماء المتألهين ولسان العرفاء والمتكلمين، كاشف سبحات الجلال بسر البساطة، ومحدّد جهات الكمال بعين الإحاطة، عمدة العلماء المحقّقين، ورئيس الفقهاء المجتهدين، آية الله في العالمين، بهاء الملّة والدين، الوليّ الوفيّ، التقيّ الرضيّ،

الزكيّ النقيّ، الورع الزاهد، العابد الأوّاه، مولانا وعمادنا ومقتدانا، الشيخ عبد الله فخر المقدّس الشيخ معتوق، (دام مؤيّداً بالألطاف الربّانية ومفاضاً عليه من الإمدادات السبحانية، بحق نور الأنوار وعلل الأكوار والأدوار، محمّد وآله الأطهار، صلّى عليهم الملك الغفّار).

السلام على مولانا الحجّة العظمى الباهرة، والآية الكبرى الزاهرة، ورحمة الله وبركاته، على الدوام، ومزيد التحية والإكرام، ثم السؤال والاستعلام، والتفحص والاستفهام عن ذاتكم اللاهوتيّة وتجلياتكم القدسيّة، لازلتم قطباً لدائرة فلك المفاخر والمكارم، وشمساً متجلّية بمظاهر الإشراقات في العوالم، بحق علل الإيجاد، وخيرة الله الملك الجواد، سادات السادات وأسرار البركات.

مولاي، الموجب للتسطير والمقتضي للتحرير، إنهاء وافر السلام، لحضرة محترم المقام، وبثّ ما بي من الأشواق التي لا تسع نشرها الأوراق، من ألم وَجْدٍ حركت مساكنه يد الذكرى، وتبريح كبد أرمضتها هواجر بُعدكم فغدت حرّى، واشتياق نفس لم تزل من ثنايا الشوق إليكم متطلّعة، ولأخباركم من فم الصادر والوارد منتجعة، ليرد عليها في ارتيادها ما يجلب المسرّة إلى فؤادها، من صحتكم واعتدال مزاجكم، نسأله تعالى بحقّ مظاهر جلاله ومصادر أفعاله، محمّد وآله (صلّى الله عليهم أجمعين) أن يمنحكم الصحّة والسلامة

والعافية والاستقامة، إنّه أكرم مسؤول، وخير مأمول، وهو أرحم الراحمين، (ونسأله تعالىٰ أن يقرّ النواظر باقتباسها من نور محيّاكم الزاهر، ويشرف الأفواه بلثم أقدامكم بل بلثم ترابها العاطر، إنّه قريب مجيب).

مولانا إن تفضلتم على عبدكم المفتقر إلى جودكم بنوع من السؤال، فهو بحمد الله وبركات ذواتكم الشريفة باقٍ على ما تشهد به الذات العلية من صدق المحبة ورقّ العبودية، ولا يشكو إلّا ألم فراقكم، فيا ليت أن تسمح لي الأيام؛ فأنال المرام، وتقر عين جفاها المنام بمشاهدة علم الأعلام، فأدرك بذلك طلبات وأقضي لبانات.

مولانا، قد رفعنا إلى حضرتكم العلية من قبل مكاتبة أن العمل باحتياطات (العروة) ربما يشقّ في بعض موارده، فإن رأيتم جواز التبعيض في التقليد فأفيدونا وأرشدونا، فلم نحظَ من جنابكم الشريف بجواب، وما ذلك إلّا لكونكم مرضى (شفاكم الله وعافاكم، وجعلني الله من كلّ مكروه وقاكم)، فأرجو من المولى الأعظم، والعلّامة العيلم، أن يملأ النواظر نوراً والقلوب سروراً بالمكاتبة التي هي على النصف من المشاهدة.

نسأل الباري من مَنّه الجسيم وجوده العميم، أن يمدّ ظلّكم على مفارق الأنام، ويعمّر بوجودكم الشريف دوارس شرع الإسلام، ويرفع بكم منار الشريعة، ويعزّ بكم ذلّ الشيعة، ثم السلام على

مولانا الأعظم بدءاً وعوداً ورحمة الله وبركاته.

ونرجو من جنابكم الشريف الدعاء، وإبلاغ السلام السادات والمشائخ والمتعلّقين، كما منا السادات والمشائخ ينهونكم وافر السلام.

دمتم سالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ ـ مؤلّفاته: له مؤلّفات قيّمة ومصنّفات ثمينة:

منها: رسالة وجيزة في بيان ما هو الأصل في الاشتقاق موسومة: بـ(منية المشتاق لتحقيق الاشتقاق)، كتبها جواباً لصاحب الفضيلة الشيخ محمّد صالح، المتوفى في ٤/٩/١٣٣٣ هـ، نجل العالم الرباني الشيخ أحمد المتوفى ١/١٠/١٣١٥ هـ، ابن الشيخ صالح آل طعان البحراني حيث سأله عن ذلك، أوّلها:

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك يا مَن اشتق طينتنا من طينة أوليائه المنتجبين، فكانوا لنا أصلاً وكنا متفرعين، وكلّفنا بموالاتهم وأخذ أفعالهم والعلم بأقوالهم وردّ أفعالنا إلى مصادرهم؛ لنكون من المؤمنين والمحسنين.

وتاريخ الفراغ من تأليفها ٢٨/١٢/١٣١٠ هـ. وأظن أنّها أوّل كتاب ألفه.

ومنها: رسالة في أحكام الشكوك المتعلقة بالصلاة سمّاها (سفينة المساكين لنجاة الشاكّين) لم تكمل.

ومنها: رسالتان وجيزتان في الرضاع.

ومنها: تعليقة مبسوطة على رسالة السيد هاشم الأحسائي المتقدم ذكره. أثبت فيها ما ترجح في نظره السامي من الأحكام الشرعية، إلّا أنها لم تكمل.

ولعلّ له مؤلّفات لم نطلّع عليها.

١٢ ـ **شعره**: له من الشعر الجيد قسم وافر وشيء كثير، إلّا إنّه لعدم تدوينه أصبح مبعثراً، وذهب أدراج الرياح، وأرسم منه هنا ما وقفت عليه متفرقاً، في مواضيع شتى، أكثرها في مسودات لم تُبيّض:

في شأن الصديقة الكبرى عليها السلام

ما العذر للأُمّة فيما سلكت ... عن ليلة القدر التي قد هتكت

ما العذر عن زجاجة المصباحِ ... إذ كسرت ظلماً لدى الصباحِ

ما العذر عن موءودة إذ سئلت ... يوم الجزا بأيّ ذنب قتلت

ما العذر للأُمّة عن أُمّ القُرى ... اذ عُطِّلت أبياتها عن القِرى

ما العذر عمّا فعلوا من منكرِ ... مما قديماً مثله لم يذكرِ

ولم يجز عند أُولي الأديانِ ... وغيرهم في سالف الأزمانِ

فهل جرى من أُمّة فيما سلفْ ... على بنات الأنبيا أهل الشرفْ

كما جرى على ابنة الرسولِ ... فاطمة الزكيّة البتولِ

من الأذى والذلّ والإهانة ... من بعد ذاك العز والصيانه

ما فاطم وهجمة الأشرارِ ... في دارها وهي بلا خمارِ

مـا فـاطم مـاالبـاب مـا الجـدارُ ما الضغط ما الإسقاط ما المسمارُ
مـا فـاطم مـا حـمرة العـينينِ ما الضرب ما اللطم على الخدّينِ
مـا الطـهر مـا إضـرام تـلك النـارِ بـــبابها وهـــي ابـنة المـختارِ
مـا فـاطم مـا مـجلس الرجـالِ ما الطهر ما التكذيب في المـقالِ
ما الطهر مـا الدعـوى بـغير حـقّ والحـقّ شـاهد لهـا بـالصدقِ

في استنهاض صاحب الأمر عجل الله فرجه

يا سيّد الكـون يـا أعـلىٰ الورىٰ نسـبا
يـا خـير مـنتجب مـن خـيرة النـجبا
يا من سـما فـي سـما العـلياء مـرتقياً
حـتى عـلا نـوره الأنـوار والحـجبا
وفـــاخر الأنـبياء المـرسلين بـما
قـد خـصّ مـما له الله الكـريم حـبا
كـــفاه فـــخراً بأن كـان النـبيّ له
جـــدّاً وفـــاطم أُمّاً والوصـــيّ أبـا
فـما تـرى شـرفاً فـي كـل مـنتسب
مـــنهم إلى شـــرف إلّا له نُســـبا
عـــليهم فـــرض البـاري ولايـته
فـــمَنْ تـقرّب مـنهم بـالولا قـربا

وقـد أبـى الله أن يـغشى بـرحـمته
مَنْ كان في الخـلق طـرّاً للـولاء أبـى
فـما مـن المـاء والأثـمار مـرّ فـمن
بغضٍ وبالحب بعض طـاب أو عـذبا
وليس يـوجد مـن خـلق بـعالمه
إلّا وقـد كـان فـي إيـجاده سـببا
فـمَنْ تـولّاه يـلقى خـير مـنقلب
ومَـنْ قـلاه هـوىٰ فـي النـار مـنقلبا
ومـن أراد مـناجاة الإلٰـه ولم
يـمدد بـه سـبباً لم يسـتطع طـلبا
يـا سـيداً كـان فـي عـرش الجـليل له
نـور كسـا النـيّرين النـور والشـهبا
يـا آيـة الحـقّ حـقّاً يـا أمـانته
والبـاب والوجـه والسـرّ الذي حـجبا
يـا عـروة الله والحـبل المـتين ومَـنْ
هـو الكـتاب الذي فـي غـيبه كـتبا
وهـو الذي نـزل القـرآن فـيه فسـل
﴿حم﴾ ﴿يس﴾ ﴿عمّ﴾المرسلات سبا

يـا خـاتم الأوصياء الغـرّ يـا خـلفاً
بـه الخـلافة قـامت لا تـرى عـقبا
يا ناصر الدين يا غـوث الصـريخ ويـا
مـجيب دعـوة مَـنْ نـاداه مـنتدبا
أنت الذي وعـد الله العـباد بـه
في آخـر الدهـر يـجلو عـنهم الكـربا
وأنت مَـنْ تـملأ الدنـيا عـدالتـه
كـما مـن الجـور قـدماً نـالت النـوَبا
وليس عـنديَ شكّ فـي حـياتك بـل
لولا وجـودك فـي ذا الكـون لانـقلبا
فالغوث من عصبة ضلّت وقد تـخذت
مـن بـغيها وشـقاها ديـنكم لعـبا
وألبسـتنا بـما نـالت ومـا ابـتدعت
ثوب الأسـى وعـلينا الذلّ قـد ضـربا
وقد أبت أن ترى مـن نسـلكم أحـداً
إلّا أنـالته مـن طـغيانها العـطبا
وإن نسـيت فـلا أنسـى وحـلمِكَ مَـنْ
بكـفّه أمّك الزهـراء قـد ضـربا

وألصق الباب أحشاها وأضغطها
ظلماً وأسقطها يا عظم ما ارتكبا
ومَنْ على ما حباها الله نازعها
وإرثها من أبيها المصطفى غصبا
وردّ شاهدها العدل الذي هو في
أُمّ الكتاب عليٍّ وافترى كذبا
ومَنْ دنا نحو بيت الوحي مجترئاً
وقد أتى بجموع جمّعت حطبا
ليضرم النار فيه وهو يعلم مَنْ
فيه ليبلغ من مأموله إربا
يريد إطفاء نورٍ كان متّقداً
والله عما يريد الظالمون أبى
وليتهم قنعوا منها بما ارتكبوا
وإن يكن جلّ في الإسلام مرتكبا
ولم يقودوا علياً في حمائله
قود البعير بعين الله مكتئبا
مسلباً برداء الصبر مشتملاً
مسلّماً أمره لله محتسبا

يُـدعى إلى بـيعة كـان الأحـقَ بـها
مـن الأُلىٰ عـبدوا الأوثـان والصـلبا
وأشـربوا العـجل حـبّاً فـي قـلوبهُمُ
وقـلبه غـير حبّ الله مـا شـربا
وخالفوا أحمد المـختار حـيث نـهى
مـن التـخلُّف عـنه أيـنما ذهـبا

في رثاءِ أمير المؤمنين

أبا حسنٍ من بعدك العيش لا يـصفو
ولا الدمع يرقى لا ولا يغمض الطرفُ
ومن بعدك المـعروف جـذّت أصـوله
ونال فروع الجود من بـعدك القـصفُ
فـهذا النـدى قـد صَكّ نـعيك سـمعه
فَصُمّ ومن وجه الهـدى جـدع الأنـفُ
وهـذا التـقى قـد ذاب بـالوجد قـلبه
وتـلك يـمين المـجد فـارقها الكـفُ
وإنّ المـعالي بـعد عـينك قـد زجت
بأعـينها سـحب لهـا بـالدما وكْـفُ
ومن عجب تـقضي قـتيلاً وأنت مَـنْ
يخالط قلب الشوس من ذكره الرجفُ

ألست الذي قد بات يفدي محمّداً

بمرقده والمشركون به حفّوا

ألست الذي جدّلت عمراً ومرحباً

وقلبك ما داناه رعب ولا خوفُ

في رثائه أيضاً

أيُّها الذاكر مَنْ أنتج من ... ملجم ألجم فاك الملجمُ

لا تقل مات علي إنما ... قلت خرّ العرش لا بل أعظمُ

بل نعاه العرش والكرسي وال ... لوح، حزناً، ونعاه القلمُ

بل نعاه الروح في جو السما ... وكسا الأفق السحاب المظلمُ

ونعاهُ كلُّ حيّ في الورى ... وبكاه حلّها والحرمُ

ليتني أفديه إذ عمّمه ... من يَدَي شرّ البرايا مخذمُ

ودعاه وهو في محرابه ... يخضب الشيبة والوجه دمُ

قوّضي يا وفدة الرحل فقد ... قوّض الجود به والكرمُ

يا بني الزهراء ما قام لكم ... بعد هذا اليوم يوماً علمُ

فلقد شتت دين المصطفى ... فهو للساعة لا يلتئمُ

فعجيب أيّ ركن بعد أن ... هدّ ركن المجد لا ينهدمُ

وعجيب أيّ قلب بعدما ... شق قلب الدين لا ينكلمُ

فالورى من بعده في حيرة ... إنّه فيها الكتاب المحكمُ

عميت عين الهدى من بعده ... وأصاب السمع منه صممُ

في شأن أهل البيت عليهم السلام

لا مرحباً بالعيد لا مرحبا ... بعد مصاب نال أهل العبا
أيفرح المؤمن بالعيد أو ... يستعذب المطعم والمشربا
وأهل بيت الوحي خير الورى ... تفرّقوا في الأرض أيدي سبا
فكم حوت طيبة من طيب ... منهم وكم وارى ثرى يثربا
وفي الغريين لهم مضجع ... يودّ فيه البدر أن يغربا
واراه لكن شيبه من دم ... سيف المراديّ له خضبا

في رثاءِ الحسين عليه السلام

لا مرحباً بك يا محرّم مقبلا ... بك يا محرّم مقبلاً لا مرحبا فلقد
فجعت المصطفى وأسأت قلـ ... ـب المرتضى والمجتبى بالمجتبى
وتركت في كبد الزكية فاطم ... ناراً تزيد مدى الزمان تَلَهُّبا
لله يومك يا محرّم إنه ... أبكى الملائك في السماء وأرعبا
وأماط أبراد الهنا من آدم ... فغدا بأبراد الأسى متجلبباً
وأصاب أحشاء الخليل بلوعة ... وينوح نوح دمعه لن يحجبا
حيث الحسين به استُقلَّ بكربلا ... فرداً تناهبه الأسنة والظُّبا
من عصبة قدماً دعته لنصره ... فعدت عليه عداوةً وتعصّبا
فهناك جاد بنفسية جادت بأنـ ... ـفسها وجالدت العدى لن تذهبا
فترى إذا حمي الوطيس قلوبها ... أقسى من الصخر الأصمّ وأصلبا
وتخال كل عرمرم من بأسه ... عند اللقا كالليث صادف ثعلبا

فالرعد أنبأ عن طراد عرابها والبرق عن لمع البوارق أعربا
وغدت تنثّر من أمية أرؤساً ولها السما رعباً تنثّر أشهبا
وتعانق البيض الصفاح ولم ترد منها سوى ورد المنية مطلبا
حتى إذا حان القضاء وغودرت صرعى على تلك المفاوز والربى
أمسى الحسين بلا نصير بعدها والقوم قد سدّوا عليه المذهبا
ساموه أن يرد المنية أو بأن يعطي الدنية والأبيُّ بذا أبى
فغدا يريهم في النزال مواقفاً من حيدر بمهنّد ماضي الشبا
لله صارمه لعمرك إنه ما كلَّ يوماً في الكفاح ولا نبا
من ضربه عجبت ملائكة السما من فوقه ويحقّ أن تتعجبا
بالله لو بالشمِّ همَّ تهايلت دَكّا وصيّرها بهمته هبا

في شأن خروج الحسين عليه السلام من مكّة إلى أن وصل كربلاء

سرى والعراق له مقصدُ وداعي الفراق له يرصدُ
سرى سبط أحمد من طيبة وقد طاب فيها له المحتدُ
سرى خائفاً مثل موسى الكليم يراقب ما تبتغي الحُسَّدُ
سرى خائفاً وهو للخائفين أمان وللوافد المرفِدُ
سرى خائفاً وهو داعي الإله وهادي البرية والمرشدُ
سرى ومحيّاه شمس الضحى بليل هو الأبيض الأسودُ
فسرى البشر من غالب وبالحزن عاهدها المعهدُ
سرى فسرى الفخر من هاشم وفارقها العزّ والسؤددُ

سرى وإلى الحشر ذاك السرى حشا الدين من ناره توقدُ
سرى والقلوب سرت خلفه بحرٌ جوى قط لا تبردُ
سرى والنجائب تقتادها الـ ـمنايا وأظفارها المقودُ
سرى والركائب تحدو لها من البين أطياره الغرّدُ
سرى بالفواطم في حالة تصدّع من شجوها الجلمدُ
سرى يقطع البيد في فتية هم الصّيد أنتجهم أصيدُ
عليٌّ وشبلاه آباؤهم ليوث وهم أسد لبّدُ
وأورثهم من علا المكرمات عليٌّ مكارم لا تنفدُ
وأصحاب صدق قد اختارهم له الله من قبل أن يوجدوا
وساروا حثيثاً كأن الرياح تزفهُمُ والفضا يسعدُ
أو الأرض تطوى لهم حيث ما نووا والهضاب لهم تهمدُ
ولكنَّ قائدهم قادهم إلى كربلا إذ هي المقصدُ
ومذ وطأت أرضَها خيلُهم وضمّهُمُ ذلك الفدفدُ
تعقرت الخيل عن جريها فقال انزلوا هاهنا الموعدُ
أنيخوا الجمال وحطوا الرحال وبين المضارب لا تبعدوا
نمدّ الرقاب لضرب ولا تُمدّ إلى السلّم منّا يدُ
ودون الذي رام منا بنو أمية أن يلمس الفرقدُ
ولم أنسَه إذ غدا خاطباً ليبلوهم أيُّهم أرشدُ
وقال انسبوني وردّوا الجواب وقولوا الصواب ولا تجحدوا

أهـل فـيكُمُ مَـنْ عـليٌّ أبـوه سـوايَ ومـن جـدُّه أحـمدُ

في رثاءِ الحسين عليه السلام

غـليل فـؤادي لا يـبرد ونـار الجـوى مـنه لا تـخمدُ
وقـلبي مـن الوجـد لا يـستريح وعـيشيَ مـا عشت لا يـرغدُ
لذكـرى مـصاب رمـىٰ العـالمين بـحزن مـدىٰ الدهـر لا يـنفدُ
مصاب الحسين ابن بـنت النبيّ ومَـنْ هـو فـي العـالم المـرشد
مـصاب أُصـيبت بـه المكـرمات أُصـيب بـه المـجد والسـؤدد
أُصـيب بـه الديـن ديـن الإلٰـه أُصـيب بـه المـصطفى أحـمد
أُصـيب بـه المـرتضى حـيدر وفـاطم والحسـن الأمـجد
أُصـيب بـهِ الأنـبياء الكـرام قـديماً فـحزنهم سـرمد
فـمن سـائل دمـعهُ بـغتةً ومـن وجـده قـلبه مكـمد
ومـن نـاظر نـظرة فـي النـجوم فـبات سـقيماً بـما يشـهد
ومـن سـائل فـي مـناجاته عـلى الطـور سيناء مـن يـعبد
عـن المـبتلى بـالبلاء الذي دهـى كـلَّ مـا كـان أو يـوجد
فـقصّ عـليه العـليم الخـبير مِـن الرزء مـا لم يكـن يـعهد
ومِـن طـالب مـنه أن يـبتلي بـفقد عـزيز له يـولد
لتـفسير كـاف وهـاء ويـا وعـين وصـاد فـما المـقصد
ومـن نـائل فـزعاً عـابراً سـبيلاً بـلا سـبب يـوجد
سـوى أنـه حـلَّ فـي كـربلاء وفـيها ابـن فـاطم يـستشهد

فأعظم برزءٍ له في القلوب ... إلى الحشر نار الأسى توقد
أمثل حسين إمام الهدى ... ينازعه فاجر ملحد
ويدعى إلى بيعة الظالمين ... وبالرغم عن داره يطرد
ويمسي غريباً بأرض الطفوف ... وفيها يكابد ما يكمد
ويبقى وحيداً بلا ناصر ... على أنه في الورى الأوحد
وآل أمية ملءُ الفلاة ... وليس له فيهم منجد
فكم قام يدعوهم للهدى ... فضلوا السبيل ولم يهتدوا
ولهفي له حين ناداهم ... بصوت يذوب له الجلمد
أما من مغيث أما من مجير ... أما من معين لنا يسعد
فقامت لنصرته عصبة ... ترى القتل عزّاً به تسعد
تميس من البشر في نشرة ... كما ماس في جلوة أغيد
إذا ذكرت مَرَّ وِرْد الردىٰ ... يطيب لها الورد والمورد
كأن المنايا بحرُّ الحديد ... بأفواهها الثلج بل أبرد
بنفسي هُمُ إذ تناخوا لها ... وعنهم رجاء البقا أبعدوا
تواصوا على الموت دون الحسين ... وعافوا الحياة وإن خلّدوا
رجال بما وعدوا قد وفوا ... وقد صدقوا الله ما عاهدوا
وصانوا مصونات آل الرسول ... وفي حفظها هان أن يفتدوا
وقد جعلوا نصب عينيهم ... حسيناً وجادوا بما يوجد
ولولا انتظارهم أمره ... لما ضمَّهم ليلة مرقد

ولم يكُ يـــــوماً لأســـيافهم لدى الروع غـير الطُّـلى مـغمد
ومـــا هـجدت عـينهم طـرفة وهـــل عـــاشق عـينه تـهجد
أتـــلتذ أعـــينهم بـــالكرى وعـــين العـــدو لهـم تـرصد
ولمـــا نأى عـــنهُمُ مـا بـهم مـن الصـبر واقـترب المـوعد
وبشّـــرهم بـــالفنا فـي غـدٍ وذاك المـــنى وهُـو المـقصد
تـــنادوا بأن التـــنائي غـــداً لك السـوء مـن طـالع يـا غـد
وثـاروا حـرار الحشـا مـن ظـما وقـــالوا المـنون لنـا المـورد
وشـدوا فسـدّوا رحـاب الفـضا عـلى قـلّة الجـمع قـد أفـردوا
فـواحـدهم فـي قـبال الجـموع جـــموع وجـــمعهُمُ مـــفرد
صـــقور مـعلّمة فـي الطـراد وإمـــا جـثوا هُـضُب وُطِـدوا
صـواعـق إن ركـبوا الصـاهلات يـــثور لهـــا عـــنبر أســود
كـــأنّ العـجاجة مـن تـحتها وأصـــواتـــها سـحب تـرعد
وقـــد رفـــعوا للسـما مـثلها وأرضاً عـن الأرض قـد مـهّدوا
جســـوماً مـن الدمّ مـخضوبة يـــموج بـــها بـحره المـزبد
لقـــد بـذلوا النـصح لكـنّهم سوى الفـوز بـالقتل لم يـقصدوا
فأقســـم مـا شـاقهم للـردىٰ جـــنان ولا حـــورها الخـرّد
ولا الغـــرف العـــاليات التـي أُعـدّت لهـم قـبل أن يـولدوا
ولا مـا بـها مـن مـقيم النـعيم وإن شـاهدوا مـنه مـا شـاهدوا
ولا خـوف حـرّ الجـحيم التـي بـها النـاس عـن حـطب تـوقد

ولكـــنّ دعـــوة داعـــي الإلـــه دعـتهم إلى المـوت فـاستشهدوا
وخـــروا بـــترب الفـــلا ســـجّداً كأنّ الفـــلاة لهـــم مســـجد
وبـــاتوا سكـــارى بـــخمر الردىٰ وقـــد وردوا كـــالذي أُوردوا
وبـــاتوا نشـــاوى ولكـــنهم بـــغير ثـــرى الأرض مـا وسُّـدوا
ونـــاموا فـــيا لكِ مـــن نـــومة لهـــا قـــد تـــفطّرت الأكْـــبُد

في رثاءِ أبي الفضل العباس

لم أنسَ إذ صال في يوم النزال على الـ
أبـطال مَـنْ هـو للآجـال مـخترمُ
هـو الفـتىٰ شـبل ذاك الليث حـيدرة
مَـنْ لا فـتى غـيرُه فـي الروع يـقتحمُ
هـو المـهذب والقـرم المـجرّب فـي
يوم اللـقا عـابس فـي السـلم مـبتسمُ
هـو المـفضّل مَـنْ للـفضل كـان أباً
والمكـــرمات إذا عـــدّت له شـيمُ
شهم هِـزَبر جـريء فـي الوغـى أسـد
وفـي الدجـىٰ قـمر تُـجلىٰ بـه الظـلمُ
له مـــقاعد صـــدق عـــند مـالكه
وفـي المـواقـف مـا زلّت له قـدمُ

تـخاله إن سـطا الأبـطال صـاعقة
مـن صـوته حلّ فـي آذانـها صـممُ
تـفر مـن سـيفه رعـباً فـيسبقها
فـيغتدي بـعضها بـالبعض يـنحطمُ
والمـوت يـعقلها والسـيف يستلب الـ
أرواح مـنها وعـزرائـيل يسـتلمُ
لم تدرِ مـن دهشـة أعـمارها هـي بـالـ
زلزال أم صـارم العـباس تـنصرمُ
أعـظم بـه بـطلاً لم يـثنه وجـل
كـلا ولم يـلوِه كَـلّ ولا سأمُ
ولا الجـموع وإن لم يُـحصَ عـدّهُمُ
ولا الأسـنة والهـندية الخـذمُ
لو كـان هـمته مـحو العـداة لمـا
صـالوا عـليه ولم يـرفع لهـم عـلمُ
لكـنما فـي القـضا دون ابـن فـاطمة
بـقتله قـد جـرى فـي لوحـه القـلمُ
وإن مسـطوره قـد حـلَّ مـوعده
وحان ما أحكمتْهُ فـي الورى الحكـمُ

فَكَرَّ ذو الفرّ واستولى الذباب على الـ

ـليث الهزبر وصاد الباشقَ الرخمُ

فخرّ للأرض ذاك الطود منعفراً

الله كيف الرواسي الشمّ تنهدمُ

وصاح مستصرخاً غوث الصريخ أبـ

ـيّ الضيم مَنْ هو للاجين معتصمُ

أخي فديتك أدركني لعلّيَ من

رؤيا محياك قبل الموت أغتنمُ

فانقضّ كالصقر إذ وافىٰ فريسته

وفي الحشا منه نار الحزن تضطرمُ

وشق بالمشرفي العضب جمعهُمُ

وصاح أين المفرّ اليوم ويلكمُ

قتلتم ابن أبي تبّاً لكم فلقد

قصمتم اليوم ظهري لا أبا لكم

ومذ رأى ذلك الجسم الصريع رأى الـ

ـخطب الفظيع وأوهى قلبه الألمُ

رآه منجدلاً في التراب منفصلاً

ما كان متصلاً كفاه والعلمُ

والنبل في جسمه كالشوك مشتبك

ورأسه بعمود البغي منقسمُ

فظلّ يندبه والدمع منسجم

والقلب منكلم والظهر منقصم

في رثاءِ الحسين عليه السلام

يا محثَّ القَلوص خل سراها ... إن تعج نحو طيبة بحداها

وانتدب من شبابها كل ندب ... من بني شيبة أُسود شراها

وانسخَ من هاشم وآل نزار ... ولؤي وغالب عُلياها

واقترح قائلاً بحرقة قلب ... مقرح والعيون ينهلّ ماها

يا ذوي العزم والحمية حزماً ... لخطوب دهاكُمُ أدهاها

فلقد أصبحت أُميُّ المخازي ... ثوبها البغي والرِّداء رداها

تشحذ البيض إذ تحشّد منها ... من شقاها عليكمُ أشقياها

علمت بالهدى لديكم ولكن ... قد دعاها إلى العمى من دعاها

فانتضوها صوارماً أغمدتها ... في رقاب لكم فبلّت صداها

جدعت منكم الأنوف جهاراً ... فاشتفت إذ بذاك كان شفاها

فانهضوا من ثراكم واملؤوا الأر ... ض جياد العتاق تطوي فلاها

وابعثوا السابحات تسحب ذيلاً ... من دلاص لكم برحب فضاها

وامتطوا قبّها ليوم نزال ... وانتضوا من سيوفكم أمضاها

لست أدري لِمَ القعود وبالط ... فّ يُن أقام في مثواها

ألجبن عراكُمُ أم لذلٌ أم لخوف من الحروب لقاها
لا وحاشاكم وأنتم إذا ما از دحمت في النزال قطب رحاها
إن زجرتم بأرضها العرب غضباً أعربت عن زجير رعد سماها
أو تشاؤون خسفها لجعلتم بالمواضي علوّها أدناها
أفَيهنا الرقاد يوماً إليكم وأميٌّ أتت بظلم تناهى
فلعمرِ والعلا لقد جرعتكم كربلا كأس كربها وبلاها
يوم أمسى زعيمكم مستضاماً يصفق الكف حائراً بفلاها
لست أنساه حين ظلَّ فريداً يتلقىٰ من العدىٰ ضرب ظباها
حوله فتية تخال المنايا دونه كالرحيق أذبل فاها
وترى الحرب حين تُدعى عروساً خطبتها الصفاح ممَّنْ دعاها
ولها الروس إذ تناثر مهر وخضاب الأكف سيل دماها
وتداعت بشراً بحيَّ على المو ت رجال ترجلت للقاها
ما ثنت عطفها مخافة موت لا ولا استسلمت إلى أعداها
لم تزل هكذا إلى أن دعتها حكمة شاء ربّها إمضاها
فَثَوَت كالبدور يتبع بعضاً بعضها آفِلاً فغاب ضياها
وبقي مفرداً يكابد ضرباً بعدها من أُمية شبل طه
بأبي علّة الوجود وحيداً يصطلي في الحروب نار لظاها
إن غدا في العدىٰ يكرّ تخال الـ ـموت يَسعى أمامه ووراها
حالف المشرفي ألّا يراه في سوىٰ الروس مُغمَداً إذ براها

وحـــمى ديـــنه فـــلما أتـته دعـــوة الحـــقّ طـائعاً لبّـاها
فـرماه الضـلال سـهماً ولكـن حـلّ فـي أعـين الهـدى فـعماها
وهوت مذ هـوى سماء المعالي وجـــبال المـــهاد هُـدّ ذُراهـا
وادلهـمّ النـهار وانـخسف البـد ر ونال الكسوف شمس ضحاها
بأبي ثاوياً عـلى الأرض قـد ظـلّ لهـيب الفـؤاد فـي رمـضاها
مـاله سـاتر سوى الريح منها قـد كسـاها دبـورها وصـباها
وبـنفسي حـرائـر أُدهشت مـن هجمة الخيل بعد فـقد حماها
بـرزت والفـؤاد يـخفق شجواً حُسَّـراً بـعد خـدرها وخباها
بـــيدٍ وجـــهها تـغطّيه صـوناً وبـأُخرى تـروم دفـع عـداها

في شأن نساءِ الحسين عليه السلام

وثـــاكـلة تسـلّيها عـداهـا بضرب السوط والصوت المهيلِ
وتـؤنسها بـما يـدمي حشاها ويـوجع قـلبها مـن شرّ قـيلِ
وتسـعدها إذا نـدبت حـماها بسبّ حـميمها البَـرّ الوصـولِ
وتـزعجها إذا دخـلت خـباها وكـان خـباؤها مأوى الدخـيلِ
وتـضربها إذا أخـفت بكـاها فـتعلن بـالنحيب وبـالعويلِ
وتـــنهرها إذا سـلبت رداهـا فـتلوي جـيدها نـحو الجـليلِ
تـجاذبها إذا امـتنعت حـلاها فـتعدو بـالعويل إلى العـليلِ
فـتشكو بـؤسها مـما دهـاها له فـتعود بـالحزن الطـويلِ
وتـلوي الجـيد نـادبة أبـاها عـليَّ المـرتضى مأوى الدخـيلِ

أبـي هـذي بـناتك فـي سـباها بأرض الطـف فـاقدة الكـفيلِ
وتلك بـنوك فـي رمـضا ثـراهـا مـجدّلة عـلى حـرّ الرمـولِ
وتـلك عـداك قـد نـالت مـناها فـعادت مـنك بـاردة الغـليلِ

في رثاء الحسين عليه السلام

لقد أشرقت من صـلب هـاشم لا السـما
بـدور بأرض الطـفّ أغـنت عـن البـدرِ
سوى أنها من وصـمة النـقص أُعـريت
ولم تـرَ حـاشاها الأفـول مـدى العـمرِ
لقد قـابلت شـمس الهـدايـة فـاكـتست
ضـياء أفـاضته عـلى الأنـجم الزهـرِ
فـلو تـركتها فـي الحـياة أُمـيّة
أرتها الليالي البـيض فـي آخـر الشـهرِ
ولكـنها خـاضت بـها بـحر عَـندم
إلى أن عراها الخسف فـي ذلك البـحرِ
ولم يـرَ مـنها الانـجلا غـير أنـها
تـجلّت لرائـيها عـلى أرؤس السـمرِ
وأعـجب شـيءٍ أنـها تـلو شـمسها
بآفـاق كـوفان بـلا فـلك تسـري

ومـــن خـــلفها فـــوق المـــطي عـــقائل
لأحـــمد مـــن مـــصر تســـاق إلى مـــصرِ

بـــلا كـــافل يـــحمي حـــماها فـــلا تـــرى
سوى الزجر من زجر وضرباً من الشـمرِ

وأعظم ما يشـجي ويـودع فـي الحشـا
حـــرارة وَجـــد دونـــها لذعـــة الجـــمرِ

تـــصدَّق أعـــداهـــا عـــليها شـــماتة
لمـــا نـــالها بـــالخبز والجـــوز والتـــمرِ

وتـــدخل فـــي زي الســـباء كأنـــها
إمـــاء تســـام البـــيع فـــي مـــجلس الغـــدرِ

يـــطاف بـــها الأســـواق وهـــي حـــواســـر
ومـــا عـــرفت غـــير التـــحجب والخـــدرِ

وتـــوقف فـــي ذلّ الســـباء بـــمجلس
حـــوى كـــل جـــبّار ورجس وذي عـــهرِ

فـــمن ســـائل جـــهلاً بـــها أو تـــجاهلاً
بـــما خـــصّها الرحـــمن مـــن عـــظم القـــدرِ

ومـــن ضـــاحك يـــفشي المســـرّة شـــامتاً
ومســـتهزئ يـــبدي القـــبيح مـــن العـــذرِ

ومستوهب من آل أحمد حرّة
أبت غير ثوب العزّ صوناً أو القبرِ
وزاد يزيد الرجس في الدين بدعة
بطغيانه لم تجرِ في سالف الدهرِ
فأحضر رأس ابن النبي محمّد
وبين يديه آلة اللهو والخمرِ
فيلعب طوراً ثم يشرب تارة
عليه ويهوي بالقضيب على الثغرِ
وينكته جهراً ويهتف قائلاً
ألا قد أخذنا ثار مَنْ كان في بدرِ
فها نحن يا أشياخ بدر لثاركم
نفلّق هاماً من رؤوس بني فهرِ
ويبرز ما أخفى من الكفر منشداً
إذا أخذته سورة الخمر بالسكرِ
لقد لعبت بالملك هاشم برهة
تظن بأن الحكم في يدها يجري
وتزعم أن الله أوحى لأحمد
وعترته ما كان في عالم الأمرِ

فـلا وحـي مـن ربّ ولا خـبر أتـى
ومـا كـان مـن نـهي هـناك ولا أمـرِ
فـيا ذلّـة الديـن الحـنيفي بـعدما
تـبدّل مـنه الرفـع والنـصب بـالكسرِ

في شأن رجوع نساءِ الحسين عليه السلام إلى المدينة

رمت آل طـه حـادثات النـوازلِ
بـأرزاء لم يـعهد لهـا مـن مـعادلِ
فـطبقت الدنـيا رزايـاهُمُ التـي
إذا ذكـرت أنست رزايـا الأوائـلِ
وزاد فـؤادي لوعـةً إثـر لوعـةٍ
وأودع فـي قـلبي جـوى غـير زائـلِ
رجوع بـنات المـصطفى بـعد سـبيها
من الشام تطوي البيد من غـير كـافلِ
عـلى هـزّل وهـي اللـواتـي تـعودت
بـطون خـدور لا ظـهور هـوازلِ
لقد أخـرجت مـن دارهـا بـين أهـلها
بـعزّ وآبت بـين أيـدٍ أراذلِ
ولمـا دنت مـنها مـنازل طـيبة
ولاحت لهـا أبـياتها فـي المـحاملِ

تـجدّد فـيها الوجـد وانـهلّ دمـعها
ونـاحت نـياح الفـاقدات الثـواكـلِ
ونـادت بـصوت والشـجا مـلء قـلبها
له لَـهَبات فـي الحشـا كـالمشاعلِ
أيـا دارنـا لا تـقبلينا فـإننا
أتـيناك بـالأرزاء لا بـالنواقـلِ
ومـذ دخـلت تـلك المـنازل أظـهرت
لهـا مـضمراً مـن حـزنها المـتداخـلِ
وظلّت تدير الطرف فيها فلا ترى سوى
البـوم تـنعىٰ والأثـافي العـواطـلِ
فـراحت تـحاكـيها بـقلب مـوزّع
ولبّ مـن الأرزاء والوجـد ذاهـلِ
تسـائلها والدمـع فـي الخـدّ سـائل
مـنازل أهـلي أيـن أهـل المـنازلِ
وأيـن الأُلىٰ كـانت تـضيء وجـوههم
كأقـمار تُـمٍّ فـيك غـير أوافـلِ
وأيـن الأُلىٰ أحـيوا لـياليك طـاعة
لربّـهُمُ فـي فـرضهم والنـوافـلِ

وأين الأُلىٰ إن شئت علماً وجدتهم
بحار علوم ما لها من سواحلِ
وأين الأُلىٰ كانوا إذا أجدب الورى
أكفَهُمُ مثل السحاب الهواطلِ
وأين الأُلىٰ كانت وقد عمّ فضلهم
فواضلهم مقرونة بالفضائلِ
وأين أولو الألباب من كلّ فاضل
وأين ليوث الغاب من كل باسلِ
وأين أمان الدار من كلّ طارق
وأين حماة الجار مأوى النوازلِ
وأين أباة الضيم مَنْ قد عهدتهم
(ثمال اليتامى عصمة للأراملِ)
لقد عقمت أُمّ النوال عقيبهم
فما أُمّها للنيل طالب نائلِ
ولا حطّ فيها الرحل بعد ارتحالهم
نزيل ولا مدت بها كفّ سائلِ
أهل لك علم يوم حان ارتحالهم
بما أزمعوه عند شدّ الرواحلِ

أهـل لك عـلم حـين سـاقوا ظـعونهم
إلى أيــن قــادتهم حــداة القــوافـلِ
وأيــن اسـتقلوا بـالنزول وخـلّفوا
ربــوعك قــفراً دارســات المــحافلِ
فــقولي بــصدق أن تــقولي عــليمة
بــهم وأجـيبي عـاجلاً عـن مسـائلي
فــإن لم تــجيبيني أجــبك فــإنني
بــهم لخــبير بــل وأصــدق قــائلِ
تــركتهُمُ صــرعى بــعرصة كــربلاء
بــتلك الربـى قـد جـدلوا والجـنادلِ
جسومهم مثل الأضاحي عـلى الثـرى
وأرؤسـهم كـالشهب فـوق العـواسـلِ
أولئك قــــومي لا أرى لمــــثالهم
وقد حلّ قلبي فـي الورى مـن مـماثلِ
وغـابوا ولكـن نـصب عـيني خـيالهم
كأن الذي قــد حــال ليس بــحائلِ
إذا ذكــرت نــفسي شــمائل فــتيتي
يــرف فـؤادي نـحو تـلك الشـمائلِ

وإن نـظرت عـيني إلى البـدر مشـرقاً
ذكـــرت وجـوهاً كـالبدور الكـوامـلِ
ســموت لهــم عــزاً وطـاولت رفـعة
وقـــابلت فـخراً عـــاليات القـبائلِ
جـــعلتهُمُ ذخـــراً لنـــازلة البـــلا
وقـــد طـرقتني اليـوم أُمُّ النـوازلِ
فـها أنـا ولهـى لا أطـيق تـصبّراً
وهـيهات أن أصـبو إلى عـذل عـاذلِ

١٣ ـ **وفاته:** توفي (أعلى الله مقامه) ليلة الخميس، الحادية من شهر جمادى الأولى، سنة ١٣٦٢ هـ، فيا له من حادث عظيم أثكل الإسلام والمسلمين! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وقد قلت في تأبينه قصيدة، ذكرتها في الجزء الأوّل من كتابي هذا (الأزهار الأرجية)، في صوادر الشهر المذكور، ولا بأس بإعادتها هنا، لمناسبة ترجمته:

خذي يا صروف الدهر فاضل مهجتي
فـإني سـئمت العـمر بـعد أحـبتي
ســئمت حـياتي والحـياة ذمـيمة
عـــقيب أحـبائي وأهـل مـودتي
أحبة قـلبي أيـن بـنتم عـن الحـمى
ونـــادي لبـــاناتي ومألف ســلوتي

أخذتم فؤادي يوم سارت ظعونكم

فما حاجتي بعد الفؤاد بجثّتي

وبعدكُمُ قد هدّ رضوى تجلّدي

فمَنْ لي بلقياكم ولو عمر ساعةِ

كأن الليالي أقسمت أن تسيئني

بقومي فبئست من يمين وَحلفةِ

وما لي ذنب غير أن أحبتي

لقد رفضوا الدنيا بكل طريقةِ

كمثل التقي الزاهد الورع الذي

غدا للتقى والزهد رمز الحقيقةِ

هو الشيخ عبد الله ذو العلم والحجا

نصير الهدى والدين شيخ الشريعةِ

أتى هذه الدنيا فقيراً وقد مضى

فقيراً ولم يأبه لدنيا دنيّةِ

مضى لجنان القدس وهو مقدّس

وما ارتاح يوماً في الزمان لزهرةِ

عليه المعالي قد أقامت مآتماً

وهل للمعالي من عزاء وسلوةِ

مآتـــم فـيها المكـرمات صـوارخ

ولكـن مَـنْ تـنعاه بـيت القـصيدةِ

وأضحت نوادي العلم قـفراً عـراصـها

كأن لم تكـــن للـــعلم دار إقـــامةِ

فيا هضبات المـجد شـجواً تـدكدكي

أهـل بـعد هـذا مـن عـماد مـثبّتِ

أهـــل بـعد هـذا للـمعالي مشـيِّد

بـــإظهار حـــقٍّ أو بـإخفاء بـدعةِ

نـــعم ليس للـــعليا أب مـــتعطف

سـوى مـاجد[1] تـنميه خـير أرومـةِ

هو السـيد المـولى المـؤيّد ذو التـقىٰ

فـتى هـاشم العـليا وركـن الهـدايـةِ

نـعم وعـلـيٌّ[2] حـجّة الزمـن الذي

إليـه الهـدى ألقـى زمـام الزعـامةَ

إليـــه الورى ألقت مـقاليد أمـرها

ومَـــنْ كـــعليّ مـــرتضى للـبريةِ

---

(١) حجّة الإسلام السيد ماجد العوامي. (منه ﷺ).

(٢) حجّة الإسلام أبو الحسن الخنيزي. (منه ﷺ).

أعـــزيكُمُ يـــا مـــعشر العـــلما الأُلىٰ

فـــجعتم بأهـــل العـــلم أعـــظم فـــجعةِ

وأرجـــــو إلـــهي أن يـــمنّ عـــليكُمُ

بـــــصبر ويـــختصّ الفـــقيد بـــجنةِ

فـــقد فـــاز بـــالذكر الجـــميل مـــخلّداً

وأسكـــنه التـــاريخ (أرفـــع روضـــةِ)

وقد أرّخه أيضاً الشاعر الشهير الطائر الصيت، زين العابدين الكويتي في آخر قصيدة له في رثائه بقوله:

لما قضى النحب روح القدس أرّخه

(تبكي المجالس حزناً لابن معتوق)

وأبّنه أيضاً العالم الفاضل الشيخ حسين ابن الشيخ علي آل الشيخ سليمان البحراني القديحي بهذه القصيدة:

و الهفتاه على الدين الحنيف لقد

ثلّت مبانيه وانهارت شناخبُهُ[1]

وأصبحت عرصات العلم دارسة

مذ غاب عنها شهاب العلم ثاقبُهُ

---

(١) الشناخب: رؤوس الجبال، لسان العرب ٧: ٢١٠، (شنخب).

ومادت الأرض بالنوح العظيم كما

فوق السماوات قد قامت نوادبُهُ

من أين للعلم رايات ترفَ وقد

مادت رواسيه وانهارت جوانبُهُ

أم أين للجود فياض وقد نضبت

بحاره الفعم وانجالت سحائبه

لا غرو إن ناحت الأملاك في الملأ ال

أعلى وفوق الثرى قد صاح نادبه

إذ كان للدين ركناً والعفاف أباً

فالدين ينعاه والتقوىٰ تجاوبه

قوموا نعزي به المولى العماد ومَنْ

شريكه هو في التقوى وصاحبه

السيد الماجد البرّ الكريم أبا ال

ضائل الغرّ مَنْ شاعت مناقبه

قوموا نعزِّ جميع المؤمنين به

فإنه ركنهم وانهدّ جانبه

لا بل نعزّي إمام العصر سيّدنا

فإنه في أمور الدين نائبُه

خاتمة

تشتمل على بعض رسائل صاحب الترجمة

أحبّ جداً أن أنسخ هنا بعض ما وقفت عليه من مصنفات صاحب الترجمة، وهي رسائله الأربع الوجيزات المذكورة أسماؤها آنفاً؛ حفظاً لها عن التلف، وتشريفاً لكتابنا هذا برسمها، ولنا بذلك الشرف:

الرسالة الأولى:

وهي الموسومة: بـ(منية المشتاق لتحقيق الاشتقاق).

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامَن اشتق طينتنا من طينة أوليائه المنتجبين، فكانوا لنا أصلاً وكنا متفرعين، وكلّفنا بموالاتهم وأخذ أفعالهم والعمل بأقوالهم، وردّ أفعالهم مصادرهم، لنكون من المؤمنين والمحسنين، وهدانا بهم للدين القويم، وعرّفنا الحقّ المبين، (صلوات عليهم أبد الآبدين، ولعنة الله على مَنْ شقّ عصا المسلمين وجميع أعدائهم الظالمين من الأوّلين والآخرين إلى يوم الدين).

وبعد:

فإنّ أحقر عباد الله المذنبين، وأحوجهم لعفو ذي القوّة المتين، أسير ذنبه، المخطي، عبد الله بن معتوق الخطي يقول: إنه قد سألني أعزّ

الإخوان لديّ، وأحبهم إليّ، وأوجبهم حقاً عليّ، أخي الصالح وشقيقي الناصح، سليل المبرور المؤيد الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح: الشيخ محمد صالح، (أصلح الله أحواله، وبلغه آماله)، عما لا طاقة لي عليه، وليس لي أهلية النسبة إليه، وذلك لضعف الصناعة وعدم البضاعة، وقلّة الاستطاعة، ولقد كان (حرسه الله) لذلك أهلاً، ولما نسبني إليه مأوى ومحلاً، لكن لما كانت إجابته عليَّ فرضاً بادرت لما أمرني به نهضاً، سائلاً منه الدعاء للتوفيق، ومن الله الإعانة والهدى لسواء الطريق، فعملت فيه رسالة وجيزة، تحلّ منه كل مشكل دقيق، وتفتح من أبوابه كل مقفل غليق، وسمّيتها: بـ(منية المشتاق لتحقيق الاشتقاق).

أسأل الله تعالى أن ينفعني وإياه بها وجميع الطالبين من المؤمنين، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم بمنّه العميم. وها أنا أورد كلامه الشريف، ونظامه المنيف كالمتن، وكلامي كالشرح، متوكّلاً على الله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم. قال (مدّ الله ظلّه، ورفع في أعلى عليين محلّه):

بسم الله الرحمن الرحيم

لحضرة الأجلّ الأشيم، والأحشم الأكرم، الأسعد الأوّاه، شيخنا الشيخ عبد الله، (حرسه الله وسدّده، وسلّمه وبالخيرات شيّده).

وبعد: فالباعث لخوض الأقلام هو:

أوّلاً: إبلاغ جنابكم السلام.

وثانياً: أن المرجو كشف مسائل كلَّ عنها الخاطر الفاتر، وردّ عنها القلب وهو حاسر، فالرجاء رفع ما تبرقعت به، (كفاكم الله الضير، وأعطاكم كلّ خير). والمسائل هذه:

ما المشتق؟ وما المشتق منه؟ وما الفرق بينهما؟ وهل المصدر أصل في الاشتقاق أم الفعل أم كلّ منهما أصل برأسه؟ وما الدليل على ذلك؟ بيّنوا لنا ذلك، والسلام:

أقول ـ وبالله الثقة والمأمول ـ: ينبغي أن نتعرض أوّلاً لتعريف علم الاشتقاق، ليكون الشارع فيه على بصيرة.

فنقول: علم الاشتقاق، هو: ما يبحث فيه عن الكلمة من حيث نسبتها إلى أُخرى أصالة وفرعية. فقولنا: «ما»، أي علم جنس يشمل جميع العلوم. وقولنا: «عن الكلمة» «فصل»، مخرج لما سوى علم اللغة وعلمي الإعراب والتصريف. وبقيد الحيثية وما بعدها تخرج الثلاثة.

وبعضهم لم يفرّق بين هذا العلم وعلم التصريف، وعدّهما واحداً، وعرفوه بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكلمة باعتبار صورها وهيئتها ونسبة بعضها إلى بعض، أصالة وفرعية.

والفرق ظاهر، فإنّ البحث في علم التصريف إنما هو عن بنية الكلمة

وتغييرها، وهذا ليس كذلك، فذكر الأحوال فيه سهو. وأيضاً قولهم: «نسبة بعضها إلى بعض» غير مستقيم؛ لأنه لا يعقل في قولنا: «ضرب» مثل نسبة الضاد إلى الراء والباء، أو بالعكس، إلّا أن يحمل على غير ظاهره، فافهم.

والاشتقاق في اللغة: أخذ شقّ الشيء، على ما في (القاموس)[١].

وفي الاصطلاح، قيل: هو ردّ الأوضاع الجزئية إلى الأوضاع الكليّة، وقيل: ردّ كلمة إلى أُخرى، للموافقة. وقال في (مجمع البحرين): «هو أن تنظم اللفظين فصاعداً على معنى واحد»[٢]. وقيل: هو أن تجد بين اللفظين تناسباً في التركيب والمعنى، فتردّ أحدهما إلى الآخر. وكلها بمعنى واحد. والأخير أصرح[٣].

فالمردود هو المشتق، والمردود إليه هو المشتق منه، وهذا يسمى بـ (الاشتقاق العلمي)؛ لأن وجدان الشيء علم به.

فائدة: التناسب الموجود بين اللفظين إن كان في الحروف والترتيب معاً، يسمى ذلك الاشتقاق: أصغر ك(ضرب)، من (الضرب)، سُمّي به؛ لأن من نظر إليه يعلم بدون تأمل أنه مشتق من الضرب لحصول المناسبة بينهما حروفاً وترتيباً.

---

(١) القاموس المحيط ٣: ٣٦٥ (شقهُ).

(٢) مجمع البحرين ٥: ١٩٦، (شقق).

(٣) انظر في كل ذلك مختصر المعاني: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

وإن كان في الحروف فقط، كـ(جبذ) من (الجذب)، يسمى: أوسط؛ لأن من نظر إليه يعرف بالتأمل أنه مشتق من الجذب، لانعدام المناسبة في الترتيب.

وإن كان في المخرج، كـ(نعق) من (النهق)، يسمى: أكبر؛ لأن من نظر إليه لا يعرف أنه مشتق من (النهق) إلّا بعد التأمل القوي.

ويسمي بعضهم الثلاثة: صغيراً وكبيراً وأكبر، وبعضهم يسميها: أصغر وصغيراً وأكبر، وبعضهم: أصغر وأكبر، بإسقاط الأوسط على الأوّل، وإدراج الكبير في الأكبر على الثاني، والصغير في الأصغر على الثالث.

ولكل قوم اصطلاح، لكن المشهور عندهم الأوّل، بل نقل عن المحقّق التفتازاني أنه إذا أطلق الاشتقاق لا يراد به الأوّل، ولا يشترط التوافق في المعنى، بل تكفي المناسبة.

تنبيه: ينبغي ملاحظة كون المردود إليه الذي هو الأصل فيه مزية على المردود، الذي هو الفرع؛ إمّا بتقدمه وضعاً كما في (الضرب) و(ضرب) على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، أو بالعلم باكتساب أحد اللفظين معناه من الأخير، كما في الاسم والسمو، فإنّ الاسم إنما كان أشرف من إخوانه، لكونه فيه معنى السمو، الذي هو العلو، لعلوه عليهما، أو لكون المعنى في أحدهما أقوى وأبلغ منه في الأخير، كـ(الكلْم) بالسكون الذي هو بمعنى. (الجرح) و(الكلمة)، فإنّ

المناسبة بينهما هي اعتبار التأثير الذي لازمه معنى الجرح وهو الألم، وذلك في الأوّل أقوى منه في الثاني.

فإنْ قيل: لا نسلّم ذلك بل الأمر بالعكس، لأنّ جرح اللسان أشدّ من جرح السنان، كما قيل وينسب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان[1]

قلنا: إطلاق الجرح على اللسان من قبيل المجاز، بقرينة تأثير الألم، الذي هو لازمه، وإطلاقه على جرح السنان حقيقة، لدلالته عليه بلا قرينة، فهو دالّ على ما وضع له، ولا يفهم غيره متى أُطلق، فيكون تأثير الكلمة مشبهاً بتأثيره، ويشترط في المشبه به أن يكون أقوى من المشبه، كما ترى في مثل (زيد) و(الأسد)، وإرادة عكس التشبيه خلاف الأصل مع الدليل على بطلانه، وأيضاً ليس كل كلام يؤثر الألم بخلاف الجرح، وأيضاً تأثير الجرح بالمعنى الحقيقي ظاهر، وبالمجازي خفيّ، وهكذا ما أشبه ذلك مما يمتاز به الأصل.

هذا، واعلم أنّه لا منافاة بين اشتراط مزيّة الأصل على الفرع، وبين اشتراط مزيّة الفرع أيضاً عليه، فإنّ المزية في الأصل هي كون معناه بنفسه ممتازاً بسبب أحد الوجوه المتقدّمة وشبهها، لا بانضمامه في

---

(١) لم نعثر على من ينسبه لأمير المؤمنين عليه السلام، بل إن جميع المصادر التي ذكرته أرسلته دون نسبة. شرح كتاب الأمثال ١: ٢٤، عمدة القاري ١:١٣٢.

المعنى فقط، كأن يكون مدلوله أكثر من مدلوله، كـ(ضرب) أو فيه وفي الحروف أيضاً كـ(ضارب)، فجهتا التمييز مختلفتان.

قوله: «ما المشتق؟» هو المردود من اللفظين، على ما تقدّم في الاشتقاق العلمي.

وقيل: هو المقتطع من أصل هذا. وهذا الاشتقاق يسمّى: عملياً، كأنّك تصرفت فيه بعمل هو الاقتطاع.

وقيل: هو الوصف المتحمل للضمير.

وقال بدر الدين بن مالك والأزهري: «المشتق: ما أخذ من لفظ المصدر للدلالة على معنى منسوب إليه»، أي: إلى المصدر.

وقيل: هو ما دلّ على حدث وصاحبه.

وأوْجَهُ الأقوالِ الأوّل، الذي قلناه، والرابع وهو قول ابن مالك، وأمّا الثاني فلا يتم إلّا على معنى الاشتقاق اللغوي، وهو أخذ شقّ الشيء، والمعنى الاصطلاحي أعم مما هو كذلك كـ(ضرب) وغيره، فلا يقال: إنّ (السرير) مثلاً على المعنى المصطلح مشتق من الخشب مع أنه مقتطع منه، وذاك أصل له، بل يقال: إنّه من السرور وذلك للمناسبة الحاصلة بينهما على الأوّل من الوجهين؛ أمّا في اللفظ فظاهر، وأما في المعنى؛ فلأنّ الناظر إلى السرير بهيئته المخصوصة، وما يعدّ له من الزينة يسّر غالباً ويدخله الفرح الذي هو معنى السرور، ولأخذه من مصدر منسوب معناه إليه على الثاني كذلك.

وأمّا الثالث، فإنّه لا يشمل إلّا اسمي الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل، وبطلانه من وجهين:

الأوّل: أنّ المدّعى أعمّ من ذلك.

والثاني: أنّه يلزم عدم اشتقاق كل من المصدر والفعل، أمّا الأوّل فلعدم تحمّل الضمير، وأمّا الثاني فلعدم الوصفية.

نعم، يتجه هذا بالنسبة إلى النعت، فإنه يشترط فيه أن يكون مشتقّاً عند أكثر النحويين، ولا يراد به إلّا هذه الأشياء، وهي أخصّ من مطلق المشتق على ما مر، فالتعبير به عنها للاختصار تسمية للأخص باسم الأعم.

وأمّا الخامس، فإنّه لا يشمل أيضاً إلّا الفعل وما شمله الثالث، فيدخل (أفعل التعجب) فيه أيضاً، وعدم صحته ظاهرة مما سبق.

قوله: **(وما المشتق منه وما الفرق بينهما؟)**.

تظهر معرفتهما مما مر، فالمشتق منه، هو المردود إليه، المردود من المتناسبين على التعريف الأوّل، والأصل المقتطع منه المشتق على الثاني، والمصدر المأخوذ عنه المشتق على الرابع، وبملاحظة كل من معانيهما يفرق بينهما.

قوله: **(وهل المصدر أصل في الاشتقاق؟)**.

هذا مذهب البصريين وهو المشهور والمنصور عند جمهور النحويين، وممّا مرّ من تعريفات المشتق شاهد له، ولنا عليه أن

المصدر اسم وهو أشرف من الفعل، فيكون أَولى بالأصالة.

وأيضاً أن الأصل في وضع الألفاظ أن تكون مطلقة عامة، والتقييد والتخصيص فرع العموم والإطلاق، والمصدر عامّ مطلق، لدلالته على حدث غير مقيد بزمن، ولا مخصّص بنسبة إلى فاعل، بخلاف الفعل، فيكون أصلاً له.

وأيضاً هو بالنسبة إلى الفعل كالمفرد؛ إذ مفهومه واحد، ومفهوم الفعل متعدد؛ لأنه دالٌّ على بعض ما يدلّ عليه الفعل، والتركيب فرع الإفراد.

وأيضاً أنه يقال له: مصدر؛ لأنّه بمعنى ما يصدر عنه، أي موضع الرجوع والذهاب.

وأيضاً أن كل فرع يؤخذ ويصاغ من أصل لابدّ أن يتضمن الأصل مع زيادة، هي الغرض من صوغه، كالثوب من القطن، والفعل فيه ما في المصدر، وزيادة هي الدلالة على الزمان، والنسبة إلى فاعلٍ ما وهي الغرض من وضعه؛ لأنّه كان يحصل في نحو قولك: (لزيد ضرب)، نسبة الضرب إلى زيد، لكنهم طلبوا بيان زمان الفعل على وجه أخصر، فوضعوا الفعل الدال بمادته على المصدر، وبهيئته على الزمان والنسبة، فيظهر من هذا كله أصالة المصدر، مضافاً إلى اختيار أكثر العلماء إياه.

قوله: (أم الفعل؟).

هذا مذهب الكوفيين، ولم أرَ مَنْ وافقهم عليه من النحويين.
واحتجوا على أصالته بأمور:
منها: أن الفعل يعمل في المصدر، كـ(ضربت ضرباً) والعامل قبل المعمول والأَولى بالأصالة.
ومنها: أن المصدر يعتلّ باعتلال الفعل كـ(قام قياماً).
ومنها: مجيء المصدر مؤكداً للفعل كـ(أكلت أكلاً)، فهو تابع، والمتبوع أَولى بالأصالة.
ومنها: مجيء بعض الأفعال بلا مصادر، فلو كان المصدر أصلاً والفعل فرعاً، لما وجد الفعل بدونه.
ومنها، أنّ مفهوم المصدر جزء مفهوم الفعل، والكل أصل للجزء.
وهذا كله يمكن الجواب عنه.
أما الأوّل، فإنّ تقدم الفعل على المصدر إنّما هو وقت العمل، لا في أصل الوضع، فإنه بالعكس كما مرّ، ولا يلزم من عمله فيه أصالته له، وإلّا لزم أيضاً أن تكون الحروف والأفعال العاملة في الأسماء أصولاً لها ولا قائل به.
وأمّا الثاني، فمنقوض بالمضارع، فإنه يعتل باعتلال الماضي كـ(قام يقوم)، وليس أحدهما مشتقّاً من الآخر.
وأمّا الثالث، فإنّ المصدر إنّما هو فرع له في الإعراب لتبعيته له فيه، ولا يلزم منها الفرعية في الاشتقاق، فإنّ المتبوع في مثل: (جاء زيد)

و(جاء القوم أجمعون)، ليس أصلاً للتابع في الاشتقاق.

وأمّا الرابع، فإنّ المتنازع فيه الأفعال التي وجدت لها مصادر، والحكم على المجموع لا ينافي تخلف بعض الأفراد.

وأمّا الخامس، فإنّ الجزء مقدّم على الكلّ وضعاً، وأصل لوجوده، فلا يكون الكلُّ أصلاً لاشتقاقه.

ومما يستدلّ به على أصالة الفعل أن يقال: قد ثبت أنّ المصدر إنّما يعمل لمشابهته للفعل، فيقتضي أن يكون الفعل أصلاً له؛ إذ المشبه فرع المشبه به.

ونقول: لا ننكر كون المصدر فرع الفعل في العمل، بمعنى أن الأصل في العمل هي الأفعال، فإذا أريد إعمال أحد الأسماء عملها، لابد أن يكون فيه شبه بها، فيكون على هذا فرعاً، ولا يلزم منه الفرعية في الاشتقاق، بل قال عبد الرحمن الجامي: «إنّ عمل المصدر لمناسبة الاشتقاق لا لمشابهته للفعل»[1].

ونقل عن ابن مالك في (شرح الكافية) أنّه قال: «يعمل المصدر عمل فعله لا لشبهه بالفعل، بل لأنّه أصل والفعل فرع، ولذلك يعمل مراداً به المضي أو الحال أو الاستقبال، بخلاف اسم الفاعل، فإنّه يعمل لشبهه بالفعل المضارع، فاشتراط كونه حالاً أو مستقبلاً لأنّهما مدلولا المضارع». انتهى.

---

(١) شرح الكافية ٢: ١٦٠.

وقيل: إنّما عمل المصدر لنيابته عن الفعل، ولذلك عمل في الأزمنة كلها؛ لأن الفعل لا يشترط فيه زمن مخصوص.

وعلى كل حال لا يلزم فرعية المصدر، وإذا ثبت كون المصدر أصلاً للفعل يكون أصلاً للصفة أيضاً؛ لأن ما استدللنا به على فرعية الفعل موجود في الصفة، فكل صفة تتضمن المصدر وزيادة هي الغرض من وضعها، فتتعين فرعيتها. فلا يلتفت لما ذهب إليه قوم ـ ومنهم السيرافي كما نسبه له نجم الأئمة الرضي وبعض البصريين ـ من أن المصدر أصل للفعل، والفعل أصل للوصف.

وقال السيد المرحوم سيد علي خان في (شرح الصمدية): «قال الحسن بن المطهر الحلي في (نهاية الأصول): ذكر أبو علي في (التكملة) أنها مشتقة من الأفعال، وكذا عبد القاهر. واستدل أبو علي بكونها جارية على سنن الأفعال وطريقتها، والأفعال أصولها القريبة، والمصادر التي هي أفعال أصولها البعيدة، وإذا ثبت هذا كان لنا أن نشتقها من الأفعال لأصالتها القريبة، ومن المصادر لأصالتها البعيدة» انتهى.

وأقول: الجري في كلامهم يستعمل لمعان:

منها: جريان المصدر على الفعل، وهو كونه ـ أي المصدر ـ أصلاً له في الاشتقاق. قال نجم الأئمة: «يقال: هذا المصدر جارٍ على الفعل، أي أصل له، ومأخذ اشتق منه».

وقال الملا جامي: «المراد بالجريان على الفعل أن يقع بعد اشتقاق الفعل منه تأكيداً له أو بياناً لنوعه أو عدده».

ومنها: جريان اسم الفعل على الفعل، أي: موازنته له في الحركات والسكنات.

ومنها: جريان الصفة على شيء، أي كون ذلك الشيء صاحبها، إمّا مبتدئاً لها، أو ذو حال أو موصوف أو موصول. والظاهر أن قصده بجريان الصفة الموازنة، وهذا لا يثبت فرعيتها للفعل في الاشتقاق وأصالته، بل لما كان عملها عمل أفعالها مشروطاً بشبهها بها التزم موازنتها لها، لتمام الشبه، وكون المصدر أصلاً لها ثابت مما مر.

قوله: **(أو كل منهما أصل برأسه)**.

لم أظفر له بقائل معلوم، إلّا إن بعض النحويين يعبر عنه ببعضهم، ويمكن أن القائل به نظر إلى الأدلة القائمة على أصالة المصدر، والأدلة القائمة على أصالة الفعل، فحكم بذلك. وبطلانه ظاهر مما مرّ لبطلان أدلة أصالة الفعل، وقيام الدليل على فرعيته، فراجع ما سبق تجد المطلوب.

وهذا ختام ما أردنا إملاءه. (نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا مختومة بالخيرات وأفعالنا مقرونة بالطاعات، راجعة إلى مصادر أئمتنا الهداة، وأن يكفينا شرّ المشقّة والآفات، إنّه على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير). فإن وقع في حيز القبول فذاك المأمول،

والملتمس من ذلك الجناب الأجل تسديد الخلل، والعفو عن الهفو والزلل.

وقد مَنّ الملك العلام بالفراغ والتمام في اليوم الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام، من السنة الحادية بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية، على مهاجرها وآله الآف الصلوات والسلام، وأكمل التحية.

الرسالة الثانية:

وهي الموسومة بـ (سفينة المساكين لنجاة الشاكّين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد النبيّ الأمين، وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فهذه كلمات يسيرة، تتكفل ببيان جملة من أحكام الشك المتعلق بالصلاة، حررتها إجابة لجملة من إخواني المؤمنين الطالبين لمعرفة أحكام الدين، لتكريرهم طلب ذلك وإلحاحهم عليَّ حيناً بعد حين، حيث لم أجد بدّاً من إسعافهم وإجابتهم مع تشتت البال وضيق المجال، لكونهم متحيّرين، (أسأل الله تعالى أن يزيد صلاحهم وتوفيقهم، وأن يمنّ عليَّ بالتوفيق والاهتداء إلى سواء الطريق؛ فإنه سبحانه الهادي والدليل، وهو حسبي ونعم الوكيل).

وقد سميتها بـ(سفينة المساكين لنجاة الشاكّين).

فأقول ـ ومنه تعالى نيل المأمول ـ: اعلم أن الشك المتعلق بالصلاة إمّا أن يكون في الفريضة أو في النافلة. والفريضة إمّا يومية أو غيرها. والنافلة أقسام مذكورة في محلّها، وعلى التقادير فإما أن يكون في نفس العمل ـ أي في إيقاعه بأن يشكّ بأنه صلّى أو لم يصل ـ أو في عدد ركعات الصلاة، أو في أجزائها مطلقاً، الشامل لأجزاء الأجزاء أو في شرائطها كذلك الشامل لشرائط الشرائط، أو في أجزاء الشرائط، أو في موانعها، أو في قواطعها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك كلّه.

والمراد بالفريضة: ما كان واجباً بالأصالة وإن عرض له الاستحباب.

وبالنافلة: ما قابل الفريضة، وهو: ما كان مندوباً بالأصالة وإن عرض له الوجوب.

فإنّ حكم كل من الواجب والمستحب العرضيين هنا ـ أي في مقام الشك ـ حكم أصله، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى كلّاً في محلّه. فالفريضة المعادة استحباباً ـ حيث تثبت ـ لا يلحقها حكم النافلة الملتزمة باستيجار أو نذر وشبهه، ولا يلحقها حكم الفريضة، فلا يلحق الثنائية منها حكم صلاة الصبح والمقصورة في السفر، ولا الثلاثية ـ بناء على تحققها كالشفع مع الوتر على القول بجواز وصلهما ـ حكم صلاة المغرب، ولا الرباعية كما في صلاة الأعرابي حكم صلاة الظهرين والعشاء في الحضر، وما في حكمه. وبعض الأصحاب أَلْحَقَ الواجب العرضي بالواجب الأصلي، وهو ضعيف

الوجه كما تبين في محلّه. ومراعاة الاحتياط أَولى.

والمراد باليومية هي الصلوات الخمس المعهودة: صلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والصبح. نسبت إلى اليوم لتكرّرها في كلِّ يوم، والمراد به[1] ما يشمل الليلة، أو أن النسبة تغليبية. ولا ينافي التكرّر المذكور اختلافها تماماً ونقصاً، كمّاً أو كيفاً أو كليهما، بالنظر إلى حكم المكلّف بها، باعتبار الزمان أو حالات الإنسان من الحضر والسفر، والأمن والخوف، والصحّة والمرض، وغير ذلك، فهي متكرّرة كل يوم، وأن يتكرر التمام أو النقصان لعدم تكرّر موجبه، بل قد لا يتفق وجوده في العمر وإن طال فضلاً عن السنة والشهر؛ أمّا بالنسبة إلى النقصان فواضح وكثير خصوصاً بالنسبة إلى الكم، وأمّا بالنسبة إلى التمام فكما لو بلغ مرتبة التكليف في حالة السفر أو الخوف أو المرض مثلاً الموجب للنقصان كمّاً أو كيفاً واستمر إلى أن مات.

وبالجملة، فالصلوات المطلوبة الواجب فعلها كل يوم هي المسماة بـ(صلاة الظهر والعصر) مثلاً وإن اختلف عدد ركعاتها كاختلاف أجزائها وشرائطها على حسب التكليف بها كما أشرنا إليه، فهي في وقت أربع ركعات، وفي وقت آخر ركعتان، بل قد تنتهي في النقص إلى ركعة واحدة بناء على ثبوت قصر القصر، بإرجاع الاثنتين أيضاً

---

(١) أي باليوم.

إلى واحدة في حال شدّة الخوف، على بعض الوجوه، وإن كان القول به نادراً كوقوعه مهجوراً، كدليله، وهي في وقت من قيام، وفي وقت من جلوس، إلى آخر المراتب، وفي وقت بالطهارة المائية، وفي آخر بالترابية، وفي آخر بدونهما؛ بناء على عدم سقوط التكليف مع تعذر الطهورين، جزماً أو احتياطاً، وفي وقت مع الطهارة من الخبث، وفي آخر بدونهما، ومع التستّر وعدمه، والاستقرار وعدمه. وهكذا بحسب حال المكلف من الاختيار والاضطرار، والعلم والجهل، والنسيان والذكر، وغير ذلك.

هذا مع أن النقص في الكمّ ـ أي عدد الركعات ـ لم يعرض على الصلاة الأصلية التي فرضها الله تعالى، وإنّما عرض على ما زاد النبي ﷺ عليها، فإنّ الذي فرضه الله عزّ وجلّ على العباد من الصلاة في اليوم والليلة خمس صلوات، كلّ صلاة ركعتان، فهي عشر ركعات، ثم زاد النبيّ ﷺ عليها سبعاً، لسبب مذكور في محلّه، ثم أسقط من كلّ من الظهرين والعشاء ركعتين في بعض الأحيان تخفيفاً، وبقيت السابعة وهي ثالثة المغرب على حالها، كما صرّحت بذلك الأخبار. فالصلاة الأصلية ـ وهي العشر ـ محفوظة متكرّرة لم ينقص منها شيء، إلّا على ذلك القول الذي أشرنا إليه، وقد عرفت ما فيه من أنه غير مضرّ بصدق التكرّر، لندرة وقوع سببه كما تقدّم.

ومما ذكرنا يظهر أنّ صلاة الجمعة من اليومية كما صرّح به بعض

الأصحاب، ويظهر من كلام بعض آخر من حيث إنّها صلاة الظهر من الخمس المفروضة، أُسقط منها الركعتان الأخيرتان وأُبدلتا بالخطبتين، كما يرشد إليه بعض الأخبار، فهي نظير الظهر المقصورة في السفر، وإن فارقتها من وجوه أُخر؛ إلّا إنّ ظاهر كلام كثير من الأصحاب أنّها صلاة أُخرى مستقلة غير الخمس، إذا فعلها المكلّف بها سقطت عنه الظهر، وكانت بدلها، وله شواهد من الأخبار. وعليه فليست من اليومية، لعدم تكرّرها إلّا في كلّ جمعة إذا اجتمعت شرائط إقامتها. وكيف كان فحكم الشك فيها لا يختلف؛ لأنّها فريضة ثنائية. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان حكمها.

والمراد بالشك، هو ما يقابل اليقين، كما هو المستفاد من الأخبار الكثيرة في هذا الباب وغيره، ومن القرآن المجيد أيضاً: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ مِن قَبْلِكَ**﴾[١]. وهذا هو معناه اللغوي كما هو صريح (مختار الصحاح)[٢] و(المصباح المنير)[٣] مصرّحاً بأنه قول أئمة اللغة و(القاموس)[٤] و(مجمع البحرين)[٥] مصرّحاً أيضاً بنقله عن أئمة اللغة.

وعلى هذا فيشمل الظنّ.

---

(١) يونس: ٩٤.
(٢) مختار الصحاح: ٣٤٤.
(٣) المصباح المنير: ٣٢٠ (شكك).
(٤) القاموس ٣: ٤٥٠ (شكك).
(٥) مجمع البحرين ٢:٥٣٦ (شكك)، ٣:٩٦ (ظنن)، ٤: ٥٨ (يقن).

فالشكّ: هو، مطلق التردد، سواء تساوى طرفاه أم ترجّح أحدهما على الآخر، كما هو صريح الثاني، والرابع[١] أيضاً. فالظن فرد من الشك لا أنّه خارج منه وقسيم له كما ظن واشتهر، بحيث خصّوا الشك بصورة تساوي الطرفين، فحيث يثبت حكم للشك يثبت للظن؛ لأنّه منه كما عرفت. مع أنّ مقتضى القاعدة أيضاً إلحاقه بالشك حكماً على تقدير خروجه عنه موضوعاً، لا بالعلم إلّا أن يقوم دليل قاطع على اعتباره وإلحاقه بالعلم، وهو مفقود في هذا الباب، أعني باب الشكّ في الصلاة مطلقاً، وإن ادّعاه كثير كثرة ودلالة إلّا إنّ جميع ما استدلّ به على ذلك مخدوش، يظهر ذلك لمَنْ تأمّل فيها وتبصّر.

نعم، لو وصل الترجيح لأحد الطرفين أو الأطراف إلى درجة الاطمئنان وسكون النفس وعدم التزلزل عادةً، بحيث يعدّ الالتفات إلى الطرف الآخر ـ وإن احتمل عقلاً ـ من الوسواس عرفاً، عوّل عليه؛ فإنّه حينئذ يخرج عن مسمّى الظنّ، ويطلق عليه: العلم عادة وعرفاً؛ لعدم الاعتناء بمثل هذا الاحتمال عرفاً وعادة فيخرج عن الشكّ بقسميه، ويثبت له حكم العلم الحقيقي ما دام كذلك. وقد أوضح ذلك في محلّه، وإنّما ذكرنا هذه الجملة مع عدم مناسبتها لموضوع هذا التحرير تنبيهاً للغافلين، وسيأتي نظير ذلك أيضاً في

---

(١) مجمع البحرين ٢: ٥٣٦ (شكك).

نظير المقام فانتظر ولا تغفل. وكيف كان فهاهنا مقاصد ثلاثة:

الأوّل: في الشكّ الحاصل في الفريضة اليومية.

والثاني: في الشكّ الحاصل في الفريضة غير اليومية.

الثالث: في الشك الحاصل في النافلة.

أمّا المقصد الأوّل فالكلام فيه يقع في مباحث:

الأوّل: في تعلّق الشك بأصل الفعل، بأن يشكّ في أنه صلّى أو لم يصلّ، فإن كان حصول الشكّ قبل انقضاء الوقت الموظّف لتلك الصلاة ـ ونعني به وقت الأداء مطلقاً، حتى الاضطراري ـ بحيث يسع الإتيان ولو بركعة منها فيه بإدراك الركوع، كما سيأتي مع اجتماع شرائط الوجوب والصحّة الشرعية، بنى على عدم الإتيان بها، ولزم أداؤها. فلو لم يأتِ بها ولو لعذر كنسيان أو نوم أو نحو ذلك لزمه القضاء مطلقاً. وإن كان من عادته الإتيان بها في أثناء الوقت، كمعتاد الصلاة في أوّل الوقت، أو وقت الفضيلة مثلاً وكان حصول الشك بعد مُضيّه أو في مكان خاص كمشهد أو مسجد، وقد كان دخله ولو لأجل الصلاة ثم خرج منه، فحصل له الشكّ، فإنّ عليه الإتيان بها أداء في الوقت، وقضاء في خارجه، ما لم يحصل العلم بأنّه أتى بها، ولا عبرة بالظن.

وإن كان حصول الشك بعد انقضاء المذكور، لم يُلتفت، وبني على الإتيان بها، إلّا أن يكون من عادته عدم الإتيان بها في الوقت، ولو

لعذر، كمعتاد النسيان أو النوم المستمرين إلى ما بعد الوقت، فإنّ الأحوط إن لم يكن أقرب البناء على عدم الإتيان، فيلزمه القضاء لا من جهة حصول الظن واعتباره حتى يرد النقض بما سلف، بل لأمر آخر، بل الأحوط القضاء مطلقاً، وإن لم يكن لازماً في غير الصورة المذكورة، والله العالم.

المبحث الثاني: في تعلّق الشكّ بعدد الركعات، وهو إمّا أن يكون في الصلاة الأحادية بناء على ثبوت قصر القصر كما تقدّم، أو في الثنائية كصلاة الصبح والجمعة والمقصورة سفراً، أو في الثلاثية وهي صلاة المغرب، أو في الرباعية كالظهرين والعشاء في الحضر، وما في حكمه من محلّ الإقامة المعهودة شرعاً، ومحلّ تردد المسافر في المقام وعدمه بعد مضي شهر، ومواضع التخيير للمسافر بين الإتمام والتقصير على القول به، كما هو المشهور، لو اختار الإتمام ولم يعدل عنه في محلّ العدول، أو التزم به بنذر أو شبهه، بناء على القول المذكور، واستحباب الإتمام.

وأمّا على القول بتحتمّ القصر فيها بدون نيّة الإقامة فلا ينعقد النذر لعدم جواز الإتمام حينئذٍ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك كلّه في محلّه.

فأمّا الشكّ في الثلاثة الأول وفي الأوليين من الرباعية كما سيأتي بيانه فيها إن شاء الله تعالى، فالحكم فيه عدم جواز المضيّ على الشك

والبناء على الصلاة والاكتفاء بها؛ سواء بنى على الأقل أم على الأكثر، بل لابدّ من استئنافها وإعادتها بعد إبطالها مما ينافيها، أو بطلانها بحدوث أحد أسبابه، ولو بحصول السكوت الطويل الماحي لهيئتها، ولا يحكم ببطلانها بنفس الشك وإن اشتهر التعبير به؛ إذ ليس الشكّ كسائر المبطلات من الحدث واستدبار القبلة وزيادة الركعة أو الركن والتكلم عمداً بغير المستثنى وما أشبه ذلك؛ إذ ليس في الأخبار على كثرتها ما يدلّ على ذلك من لفظ (بطلت الصلاة) أو (فسدت)، أو (تبطل) أو (تفسد)، أو (أن الشكّ مبطل) أو (مفسد) أو ما يؤدي هذا المعنى، وإنّما فيها لفظ «**أعاد**» و«**استقبل**» و«**استأنف**» و«**يعيد**» و«**يستقبل**» و«**يستأنف**»، وذلك لا يستلزم البطلان، ولإلزام الشارع هنا بالاحتياط، والاكتفاء منه بالإعادة ولو بدون إتمام، لتحصيل العلم بحصول الصلاة المطلوبة من المكلف، وعدم الاكتفاء باحتمال الموافقة وإن اكتفى به في غير هذا المقام.

ويرشد إلى ما ذكرنا ما ذكر في جملة من الأخبار، صريحاً من التعليل بعد الأمر بالإعادة بحصول العلم بالإتيان بالصلاة تامّة، ففي بعضها: «**يستقبل حتى يستيقن أنّه أتم**»[1]، وفي آخر: «**فأعدها حتى تثبتهما**»[2]، يعني: الركعتين الأوليين، وفي آخر: «**فمَنْ شكّ في**

(١) التهذيب ٢:١٧٩/٧١٥.
(٢) الاستبصار ١: ٣٦٤/١٣٨٣.

الأُوليين أعاد حتى يحفظ ويكون على يقين»[١].

وبالجملة فالشكّ هنا مانع من المضيّ في الصلاة وإتمامها كيف اتفق، بحيث يكتفي بها مع عدم إحراز عدد ما أتى به من الركعات، من دون فرق بين الموارد المذكورة، كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى، بخلاف الشك في أخيرتي الرباعية، فإنّه لا يمنع من ذلك، وإن كان المصلّي مقيّداً من الشارع بأخذ طرف خاصّ وبفعل عمل خاصّ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وإن احتمل فيها الزيادة أو النقصان، فالشكّ مطلقاً بجميع أقسامه في جميع موارده ليس بمبطل، لا بمجرد حصوله، ولا بعد استقراره، ما لم يحصل مبطل آخر، كما تقدّم. فلو زال الشكّ، ولو بعد الاستقرار قبل حصول منافٍ للصلاة، وتبدّل بالعلم، لزمه العمل بمقتضى ما علم، فإن علم التمام تمت، وإن علم النقصان أتمّ، وإن علم زيادة ركعة أو ركن مثلاً بطلت، ولا عبرة بالظن.

ثم الأحوط إن لم يكن أقرب عدم البدار إلى الإبطال قبل الاستقرار.

ثم إنّ مقتضى القول بكون الشكّ مبطلاً عدم تأثير العلم الحاصل بعد الشك لعدم عود ما اتّصف بالفساد إلى الاتّصاف بالصحّة، مع أن جملة ممَّنْ عبر بالبطلان التزموا بالصحّة بعد التبدّل حتى بالظنّ، حيث اعتبروه، وهم أعرف بما قالوا.

---

(١) الفقيه ١: ٢٠٢/٦٠٥.

كما أنّ مقتضى القول المذكور أيضاً عدم جواز إتمام الصلاة، ولو بعنوان الاحتياط، لتوقّفه على احتمال الصحّة به، وهو منتفٍ بعد الحكم بالبطلان شرعاً، كما هو المفروض، وأمّا على ما ذكرنا فلا مانع منه بهذا العنوان، لما عرفت من بقاء الحكم بالصحّة حتى يحصل المبطل، وليس منه الشكّ كما تقدّم، ولا ينفي ذلك النهي عن المضيّ على الشكّ في بعض الأخبار، كما يظهر بالتأمل فيه وفي غيره منها كما تقدّمت إليه الإشارة، فيجوز إتمام الصلاة بما لا ينافيها من البناء على الأقل، أو على الأكثر، بعنوان الاحتياط لاحتمال أنّه الواقع ثم الإعادة لتحصيل القطع بالبراءة، وأحوط منه اختيار البناء على الأقلّ، مع عدم المانع منه، لحكاية القول به تعييناً، استناداً إلى أخبار قاصرة عن إثباته كما بيّن في محلّه، والله سبحانه العالم.

ولا فرق في الشكّ المذكور في الموارد المذكورة، بين كونه أوّلياً أو ثانوياً، ولا بين كونه في سعة الوقت أو في ضيقه، أمكن إدراك ركعة فيه أم لا، وإن كان الاحتياط في صورة إدراك ركعة بالهدم، فالإعادة لإدراك الوقت، وفي صورة عدمه بالإتمام ثم الإعادة أَولى.

ولا بين دوران أمر بين المحذورين: الزيادة والنقيصة، كما لو تعلّق بالركعة الأُولى والثالثة في الثنائية، أو بالأُولى والرابعة، أو بالثانية والرابعة في الثلاثية وعدمه، بل يجري الحكم المذكور لو شكّ في الزيادة فقط، كما لو تعلّق بالثانية والثالثة في الثنائية، أو شك في

النقيصة فقط، كما لو تعلّق بالأولى والثانية في الثنائية، أو بالأولى والثالثة أو بالثانية والثالثة في الثلاثية، فلا فرق بين أولى الرباعية وبين الثنائية والثلاثية في ترتيب الحكم المذكور، للشكّ فيها، فالحكم في الجميع واحد، كما تقدم. وسيأتي نقل القول بالتفرقة، والحكم بالصحّة، وإجراء العلاج لو شكّ في الأوليين من الرباعية، كالأخيرتين مع ما فيه، فانتظر.

ولا بين الحالات من كونه قبل الركوع أو حينه، أو بعده مطلقاً، إلّا إذا تعلّق بالثانية وما فوقها من الرباعية، فإنّ فيه تفصيلاً يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ولا بين كون الشك بسيطاً أو مركّباً، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

ولا بين كون الصلاة أدائية أو قضائية عن نفسه، أو عن غيره، مستحباً كان القضاء أم واجباً، بأصل الشرع أو بالعارض، كالالتزام باستئجار أو نذر أو نحو ذلك.

ولا بين كون الشاكّ عالماً بالحكم التكليفي أو الوضعي، أو بهما، أو جاهلاً أو ناسياً لهما، أو لأحدهما، والله العالم.

وأمّا الشكّ في عدد الرباعية، فإمّا أن يتعلّق بالركعة الأولى وما فوقها، ومنه الشكّ المستغرق لعدد الركعات، كما لو لم يدرِ كم صلّى، أو من جهة توارد الشكوك وتواترها وتعاقبها والتباس بعضها ببعض، بحيث لم يعلم المتقدّم من المتأخّر، والناسخ من المنسوخ، وما

يجب المضي عليه من غيره، مع سريان ذلك إلى الأوليين وإلّا فخرج، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترتيب الشكوك.

أو بالثانية وما فوقها أو بالثالثة وما فوقها أو بالرابعة وما فوقها أو بالخامسة وما فوقها وهكذا.

ولنقتصر في منتهى المبتدأ به من الأطراف على الخامسة، وفي منتهى المنتهى إليه على السادسة، لعدم الابتلاء به غالباً بما زاد على ما ذكرنا، مع معلومية حكم كثير من صوره من ملاحظة بعض ما ذكر، لاتحاد المنشأ.

وعلى التقادير المذكورة فإمّا أن يكون الشكّ بسيطاً، بأن يكون التردّد، بين طرفين فقط، أو مركّباً ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً، أو خماسياً، وهكذا مع الترقي بحسب زيادة الأطراف، فذو الثلاثة ثنائي، وذو الأربعة ثلاثي، وذو الخمسة رباعي، وذو الستّة خماسي، وهكذا على حسب المبتدأ به والمنتهى إليه من الأطراف، فكلّما زادت البسائط زادت المركّبات على نسق ما ذكرنا من الترتيب، فتزيد صورة الشكّ من هذه الجهة كثيراً، فإذا ضمّ إلى ذلك اعتبار حالات المصلّي حال الشكّ، من كونه قبل الدخول في الركوع وبعده، قبل الدخول في السجود وبعده، قبل الذكر وبعده، قبل الرفع وبعده، تضاعفت الصور كثيراً بعد مضروب ما حصل من البسائط والمركّبات في عدد الحالات.

وحيث اقتصرنا في منتهى المبتدأ به من الأطراف على الخامسة، وفي المنتهى إليه على السادسة، سقطت جملة من صور إلى البسائط والمركبات، والحاصل منها على ما ذكرناه سبع وخمسون صورة للأقسام الخمسة المذكورة، أعني: تعلّق الشكّ بالركعة الأولى وما فوقها إلى الخامسة، وما فوقها وهو إلى السادسة فقط كما ذكرنا سابقاً.

للقسم الأوّل منها إحدى وثلاثون صورة، منها خمس بسائط وست وعشرون مركّبات، منها عشر صور ثنائية وعشر ثلاثية، وخمس رباعية، وواحدة خماسية.

وللقسم الثاني خمس عشرة صورة، منها أربع بسائط، وإحدى عشرة مركّبات، منها ست صور ثنائية، وأربع ثلاثية، وواحدة رباعية.

وللقسم الثالث سبع صور منها ثلاث بسائط، وأربع مركّبات منها ثلاث ثنائية وواحدة ثلاثية.

وللقسم الرابع ثلاث صور منها اثنتان بسيطتان وواحدة مركّبة ثنائية.

وللقسم الخامس، صورة واحدة بسيطة لا غير.

فهذه سبع وخمسون صورة موزّعة على الأقسام الخمسة كما ذكرنا.

فإذا ضربت في عدد الحالات التي ذكرناها وهي إحدى عشرة، بلغ عدد الصور ستمائة وسبعاً وعشرين صورة للقسم الأوّل، منها

ثلاثمائة وإحدى وأربعون صورة حاصلة من ضرب إحدى وثلاثين في إحدى عشرة.

وللقسم الثاني، مائة وخمس وستون صورة حاصلة من ضرب سبع في إحدى عشرة.

وللقسم الرابع، ثلاث وثلاثون صورة حاصلة من ضرب ثلاث في إحدى عشرة.

وللقسم الخامس، إحدى عشرة صورة حاصلة من ضرب واحدة في إحدى عشرة.

فهذه ستمائة وسبع وعشرون صورة موزّعة على الأقسام الخمسة كما ذكرنا، فعليك بالتدبر في ضبط الصور والضرب، وترك المسارعة إلى الإيراد قبل التأمّل في الأعداد، وبإصلاح الخلل بعد العثور على الزلل، وإنّما جعلنا الحالات التي بعدها قبل الركوع عشراً على الترتيب المذكور، مع أنّها أزيد كما لا يخفى؛ لأنّها هي التي ذكرها بعض الأفاضل في بيان ما تتحقق به الركعة من الاحتمالات الذي يترتب عليه الخلاف الآتي فيما يتحقق به إحراز الركعتين، وأنّه بأيها يحصل ليترتب عليه الحكم بالصحة، والمضي على الشك، والعمل بما جعل له من الوظيفة، وإلّا فالبطلان أو الإبطال على ما تقدّم، إلّا إنّ الذي عثرنا عليه من الأقوال أربعة لا غير.

أحدها: حصوله بالركوع.

الثاني: بالدخول في السجدة الثانية.

الثالثة: بعد الذكر فيها.

الرابع ـ بعد الرفع منها.

وعلى الثلاثة الأخيرة يسقط كثير من الصور، بحسب ما يسقط من الاحتمالات من كل منها.

ومن هنا نشأ الاختلاف بين مَنْ تعرّض لضبط الصورة في عددها، أو بإضافة بعض الأقسام، أو بعض صورها، لندرة وقوعه والابتلاء به من بعض دون آخر، أو غير ذلك أيضاً، وإلّا فما بيّناه من الضبط والضابط لا يكاد يخفى بعد التأمّل والتدبّر فيما فصلناه. وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ في بيان الأحكام إيضاح المرام، وبيان فوائد ما سلكناه في هذا المقام من كيفية التقسيم والأقسام، وما ذكرناه لها أو لصورها من العناوين، وانطباقها على ما في الأخبار من المضامين.

إلى هنا انتهى كلامه (رفع مقامه) والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد، وآله الطيبين الطاهرين.

الرسالة الثالثة: في الرضاع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد:

فهذا ما تيسّر رسمه ووسع نظمه من الجواب عن السؤال الوارد من بعض الإخوان، بما أوصل إليه النظر القاصر، ووقع عليه الذهن الفاتر، مما قادني إليه الدليل سائلاً من الله تعالى الجليل، أن يمنّ عليَّ بالتوفيق والهداية إلى سواء السبيل.

وهذه صورة السؤال من السائل:

اعلم (وفقك الله تعالى) أنّه كان لي ابن عم أكبر سنّاً منّي، وقد أرضعته أُمّي مع أُخت لي أيضاً، أكبر سناً منّي، وكان مقدار زيادة سنّهما عليَّ عشر سنين، ولا أعلم أنّ الرضاع الذي وقع بينهما هو متصل بعدد خمس عشرة رضعة أم لا، إلّا إنه على موجب الشهرة كان يرضع في مدّة الحولين، ولما كبر الغلام ورزق بنتاً تزوجت أنا بها ولا سمعت أنّها تحرم عليَّ. والآن سمعت من العوام كلاماً في هذا الأمر، وتشوشت، فالرجاء من جنابك أن تفيدنا عن هذه الامرأة، إمّا حلال فأبقى معها، وإمّا حرام فأفارقها، بردّ جواب نفهمه لأنّا عوام، انتهى.

أقول في الجواب ـ ومن الله تعالى الإعانة والهداية إلى الصواب ـ:

اعلم (وفقك الله تعالى لمراضيه) أن هذا الغلام الذي أرضعته أُمّك، إنْ كان رضاعه رضاعاً جامعاً للشرائط المعتبرة شرعاً في ثبوت حرمة الزواج والتناكح بين بعض أفراد الإناث من الناس وبعض

أفراد الذكور يسبّب الرضاع، كما أنها ثابتة كذلك يسبّب النسب، حيث إنّ الرضاع المذكور يحدث علقة شبيهة بعلقة النسب، فنزّله الشارع منزلة النسب، وحرّم منه كما ورد في النبويّ وغيره من أخبار الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، من أنّه «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[١] و«**القرابة**»[٢]، وأن «**الرضاع لحمة كلحمة النسب**»[٣]، فكل أنثى حرمت بسبب النسب على أحد من الذكور حرمت نظيرتها من الرضاع عليه.

فلا إشكال حينئذٍ في حرمة بنت هذا الغلام المذكور عليك، لأنّه صار بسبب الرضاع أخاك الرضاعي لأمّك النسبية، فتكون بنته حينئذٍ بنت أخيك، وأنت عمّها، فكما تحرم بنت الأخ النسبي على عمّها كذلك تحرم نظيرتها من الرضاع، بل يحرم عليك كلّ مَنْ تناسل منه من الإناث، كبنات أبنائه وبنات بناته، وهكذا نازلاً؛ لأنّهن بنات أبناء أخيك وبنات بناته، كما في النسب؛ سواء كان الرضاع المذكور بلبن أبيك، أم بلبن غيره. فيكون المرتضع من أمّك على الأوّل أخاك الرضاعي لأبيك وأمّك النسبيين، وهو أولى بترتيب الحكم المذكور، وعلى الثاني أخاك فقط، وهو كافٍ في ذلك أيضاً،

---

(١) الكافي ٥: ٢/٤٣٧. (٢) الكافي ٥: ١/٤٣٧.

(٣) لم نعثر عليه في كتب الحديث عند محدّثينا، وهو نبويّ ذكره في المهذب البارع ٣: ٢٣٦، وغيره من متأخّري المتقدّمين.

حيث تكون الأمّ نسبية كما هو المفروض في المقام.

كما أنه يكفي في نشر الحرمة أيضاً بسبب الرضاع ارتضاع المرتضعين من لبن فحل واحد، وإن لم يكن أباً نسبياً لأحدهما، ولم تكن المرضعة أيضاً أمّاً نسبةً لأحدهما، سواء اتحدت المرضعة لهما، أم تعدّدت بأن ارتضع أحدهما من امرأة تمام القدر المعتبر، والآخر من أُخرى كذلك مع كون اللبن لفحل واحد، فإنّ المرتضعين على الأوّل ـ أعني: اتحاد المرضعة والفحل ـ يكونان أخوين رضاعيين للأب والأمّ الرضاعيين، وعلى الثاني ـ أعني: تعدد المرضعة مع اتحاد الفحل ـ أخوين كذلك للأب الرضاعي فقط، وهو كافٍ في ترتّب أحكام الأخوة الرضاعية كالنسبية.

وبالجملة، فالأخوة من قبل الأب كافية مطلقاً، وأمّا كفاية الأخوة من قبل الأمّ الرضاعية فقط ـ يعني: إذا لم تكن المرضعة أمّا نسبية لأحد من المرتضعين مع تعدّد الفحل، كما لو أرضعت أحدهما بلبن فحل وأرضعت الآخر بلبن فحل آخر، مع اجتماع بقية الشرائط الآتي ذكرها، فمحلّ خلاف يأتي بيانه إن شاء الله تعالى في ذكر الشروط المعتبرة في نشر الحرمة.

وكيف كان، فلا يتحقق نشر الحرمة بسبب الرضاع إلّا بشروط، ولا بأس بذكرها جميعاً مفصّلة، لأجل الإيضاح وعموم النفع، وإن كان بعضها غير محتاج إليه في المقام، لاختصاص السؤال بما لا يجري

فيه.

وهي أمور:

أحدها: أن يكون لبن المرضعة ناشئاً عن وطء صحيح، سواء كان بسبب عقد نكاح دائم أو منقطع أم ملك يمين أم تحليل أم وطء شبهة على إشكال في الأخير. والمشهور إلحاقه بما قبله، وهو الأقرب مع موافقته للاحتياط غالباً. وكيف كان فلو درّ لبنها من غير وطء أصلاً فلا حرمة، سواء كانت ذات بعلٍ أو خالية، وكذا لو كان عن وطءٍ غير صحيح، كالزنا.

الثاني: أن يكون اللبن عن ولادة، فلا يكفي كونها حاملاً فضلاً عن كونها موطوءة بدون حمل، وإن كان الوطء صحيحاً، وقيل بكفاية الحمل، ولا شك في أنه أحوط، وإن كان الأوّل أقوى، ولا يشترط حياة الولد، بل ولا خروجه حياً إذا ارتضعت بلبنها بعد وضعه.

الثالث: كون المرضعة حيّة مدة الرضاع المعتبر شرعاً، بأن يستكمل المرتضع الرضاع المذكور في حال حياتها، فلو ارتضع من امرأة ميّتة تمام النصاب، أو ارتضع من امرأة حيّة بعض النصاب، ثم أكمله منها ميتة فلا حرمة.

الرابع: أن يكون الرضاع في الحولين للمرتضع، بأن يكون القدر المعتبر منه بتمامه حاصلاً في ضمن حولي المرتضع، بحيث لا يقع شيء منه بعد تمامهما، فضلاً عن وقوعه بتمامه بعدهما.

نعم، يكفي وقوع تمامه بتمامهما، فلا عبرة بالرضاع الواقع بعدهما، ولا دخل لفطام المرتضع وعدمه قبل انقضاء الحولين أو بعده في ثبوت الحكم وعدمه، كما أنه لا دخل لحولي ولد المرضعة، ولا لفطامه فيهما أو بعدهما في ذلك، على الصحيح المشهور في ذلك كله.

الخامس: اتحاد صاحب اللبن، وهو المعبّر عنه بالفحل، كالزوج، ونحوه، ممَّنْ أُشير إليه سابقاً، بمعنى: أن يكون اللبن المرتضع به لفحل واحد، وهذا الشرط على قسمين:

أحدهما: كونه شرطاً لثبوت الحرمة بسبب الرضاع مطلقاً، حتى بين المرتضع والمرضعة، وبينه وبين الفحل، لا خصوص ثبوته بين المرتضعين، ويلزم ذلك ثبوت الحرمة بين المرتضعين وبين كل منهما، وتوابع الجميع من الأصول والفصول والحواشي مما كان مشابهاً لما حرم من النسب. وحينئذٍ فيشترط مع ذلك اتحاد المرضعة أيضاً، بحيث تنفرد بإرضاعه مدّة الرضاع المعتبر في نشر الحرمة، كما سيأتي بيانه، ولا تشاركها فيه فيها مرضعة أُخرى، حتى يستوفي النصاب المعتبر، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فيكون الشرط حينئذٍ عبارة عن اتحاد الفحل والمرضعة معاً، ولهذا جعله بعض الأصحاب شرطاً مستقلاً، وجعل القسم الآخر شرطاً آخر، والأمر سهل.

وكيف كان، فلو تعدّدت المرضعة في المدّة المذكورة، بأن حصل المعتبر من الرضاع فيها من لبن مرضعتين أو أكثر، بحيث لم يحصل بتمامه من واحدة فلا حرمة أصلاً، وإن اتحد الفحل، كما لو كان عند رجل زوجتان مثلاً مرضعتان، فأرضعت إحداهما رضيعاً بعض النصاب المعتبر، وأرضعته الأخرى تكملة النصاب، وهو واضح، وكذا لو تعدد الفحل وإن اتحدت المرضعة.

وقد مثّلوا له بما لو أرضعت امرأة رضيعاً بعض النصاب من لبن فحل، ثم فارقها بطلاق ـ مثلاً ـ وبقي الطفل يتغذى بالمأكول والمشروب من دون ارتضاع، لا من هذه المرضعة ولا من غيرها، ثم تزوجت بآخر وولدت منه، بناء على اشتراط الولادة كما سبق، أو حملت ودرّ لبنها بناء على كفاية الحمل، فأرضعت ذلك الطفل تكملة النصاب، فإنّ هذا الرضاع لا يوجب حرمة أصلاً، لكونه بلبن فحلين، ولكن لا يخفى أن هذا إنما يتم لو بنينا على أن الفصل بين الرضعات المعتبرة بالمأكول والمشروب غير مضرّ وإن طال، وإنما المضرّ هو الفصل برضاع امرأة أخرى لا غير، وسيأتي الكلام في ذلك الشرط الآتي.

والحاصل أن الرضاع المحرّم مشروط بكونه من مرضعة واحدة بلبن فحل واحد، مع استجماع بقية الشرائط التي منها بلوغ النصاب المشروط بالتوالي، كما ستطّلع عليه ـ إن شاء الله ـ فإذا حصل التعدّد

من طرف الفحل أو المرضعة فلا حرمة، وإن حصلت بقية الشرائط، وأمّا لو حصل التعدّد من الطرفين مع اتحاد المرضعة، كما لو ارتضعت رضيعاً بلبن فحلها بعض النصاب، وأرضعته أُخرى بلبن فحلها الذي هو غير فحل الأُولى تكملته، فلا إشكال ولا خلاف ممَّنْ اعتبر النصاب في عدم نشر الحرمة أصلاً، والله العالم.

القسم الثاني: للشرط المذكور، وهو اتحاد الفحل: كونه شرطاً لثبوت الحرمة بين المرتضعين، بحيث يحرم أحدهما على الآخر، مع اختلافهما في الذكوريّة والأنوثيّة، ويحرم على كلّ من المرتضعين توابع الآخر من أصوله وفصوله وحواشيه، مما يحرم نظيره في النسب. وهذا القسم لا يشترط فيه اتحاد المرضعة، بل يكفي اتحاد الفحل، إذا اجتمعت بقيّة الشرائط المعتبرة في نشر الحرمة، وإن تعدّدت المرضعة، فلو كان لرجل امرأتان منكوحتان له نكاحاً صحيحاً، وأرضعت كل واحدة منهما بلبنه رضيعاً رضاعاً مستجمعاً لباقي الشرائط، ثبت نشر الحرمة بين المرتضعين وبين كل منهما وتوابع الآخر، لمشابهته لمَنْ يحرم عليه من النسب، وتحرم على كل منهما أيضاً مرضعته لو كان ذكراً، لأنها أُمّه الرضاعية، وأُمّها فصاعداً؛ لأنّهن جداته، ويحرم على الأنثى منهما الفحل وآباؤه، لأنّهم آباؤها، وأبناؤه لأنهم إخوتها، وأبناؤهم لأنهم أبناء إخوتها، وهكذا نازلاً، وإخوانه لأنهم أعمامها كما في النسب، وعلى الذكر

منهما بنات الفحل، وإن كنّ من غير مرضعته، لأنهن أخواته لأبيه.
وقد عرفت كفاية ذلك في نشر الحرمة، وتحرم على كل منهما أيضاً مرضعة الآخر، لكن لا من جهة تنزيلها منزلة مَن يحرم من النسب؛ لأنها ليست أُمّه الرضاعيّة، فلا تنزّل منزلة الأُم النسبية، وإنما حرمت عليه من جهة أنها منكوحة أبيه الرضاعي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِسَاءِ﴾[1] مع ضمّ قولهم عليهم السلام: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب»؛ ولهذا لم تحرم أُمّها فصاعداً عليه؛ لأنهن لسن جداته، ولا بناتها اللاتي من غير هذا الفحل؛ لأنّهن لسن أخواته، ولا أخواتها؛ لأنّهن لسن خالاته على الصحيح. هذا كله مع اتحاد الفحل وتعدد المرضعة والمرتضعين.
وأمّا لو تعدّد الفحل واتحدت المرضعة، فإن اتحد المرتضع فالحكم هو ما ذكرناه سابقاً، وإن تعدد المرتضع فإنْ لم يبلغ رضاع كل واحد منهما النصاب المعتبر، فلا حرمة بينهما، كما لا حرمة بين كل منهما وبين المرضعة، كما تقدّم من دون إشكال، وإن بلغ رضاع كل واحد منهما النصاب المعتبر فلا إشكال أيضاً في نشر الحرمة[2] بين

---

(١) النساء: ٢٢.

(٢) للمؤلّف بعد هذه الكلمة، نسختان: الأولى من قوله: بين المرضعة... إلى قوله: والخالة. والثانية من قوله: بين كل من المرتضعين... إلى قوله: بسبب النسب. (منه رحمه الله).

المرضعة وكل واحد من المرتضعين منها وبين فحلها، وكل واحد ممَّن ارتضع منها بلبنه.

وتسري الحرمة بين كل من المرتضعين وأصول كلّ من المرضعة والفحل، أي آبائهما وأمّهاتهما، وفصول الفحل مطلقاً، نسباً ورضاعاً وحواشيه المشابهة لمَنْ يحرم من النسب، وفصول المرضعة، أي أولادها النسبيين وحواشيها المشابهة لمن ذكر، كالخال والخالة.

نسخة: بين كلّ من المرتضعين وبين المرضعة وأصولها، أي آبائها وأمّهاتها وفصولها، أي أولادها النسبيين، وبين كلّ منهما وبين الفحل الذي ارتضع بلبنه وأصوله وفصوله، نسباً ورضاعاً، وكذا حواشيه المشابهة لمن يحرم نكاحه بسبب النسب.

وهل ينشر هذا الرضاع الحرمة بين المرتضعين، بحيث يحرم كلّ منهما على الآخر، وبين كلّ منهما وأولاد المرضعة الرضاعيين؟ وبعبارة أُخرى: هل الإخوة من قبل الأمّ فقط كافية في نشر الحرمة مطلقاً، كما أنها من قبل الأب فقط كافية في ذلك، أو لا؟ قولان، المشهور وهو الأقوى العدم، لدلالة بعض الأخبار على ذلك صريحاً، بل قد يقال: إن أصل الأُخوّة إنما يتحقق مع اشتراك المرتضعين في لبن فحل واحد، وبدونه لا يتحقّق كما يستفاد من بعض الأخبار، فانتفاء الحرمة إنما هو لانتفاء الأخوة، لا أن هذه

الأُخوة مستثناة من مطلق الأُخوّة، ولا أن حكم هذه الأُخوة مستثنى من حكم مطلق الأُخوّة.

وكيف كان، فالحكم هو ما ذكرنا، لما ذكرنا من تصريح جملة من الأخبار بذلك، وقيل بثبوت الحرمة هنا أيضاً، ولا شكّ في أن الاجتناب أحوط، والله العالم.

الشرط السادس: أن يبلغ الرضاع النصاب، أي القدر الذي اعتبره الشارع في ثبوت الحرمة، وهو إمّا من حيث الزمان خاصّة، وإمّا من حيث مقدار خاص منه، من دون اعتبار شيء آخر، كوجود صفة خاصّة أو عدد خاصّ لرضعات خاصّة، وإما من حيث عدد الرضعات خاصّة.

فالأول: هو يوم وليلة، بمعنى أن يرتضع الرضيع تمام اليوم والليلة رضعات كاملات، في كل وقت يحتاج فيه إلى الرضاع، من مرضعة واحدة، كما سبق، بحيث يكون غذاؤه فيهما لبن هذه المرضعة لا غيره من لبن غيرها أو غيره من الأغذية.

نعم، لا يضر اليسير من ذلك لأجل التداوي ونحوه، ولا الرضعة الناقصة من غير المرضعة إذا حصل صدق الرضاع منها، أي من المرضعة يوماً وليلة متّصلين، فيكون هذا الرضاع المذكور سبباً لنشر الحرمة، ومع اختلال شيء مما ذكرنا لا يحصل مصداق الرضاع يوماً وليلة كما لا يخفى، فلا حرمة، والله العالم.

الثاني: هو المقدار الذي يحصل به اشتداد عظم المرتضع، ونبات لحمه من الرضاع، بأن يكون هذا اللبن الذي ارتضع به هو الموجب لحصول هذين الوصفين دون غيره. وهذا الرضاع لا يعتبر فيه الاتصال ولا عدم الفصل برضاع امرأة أخرى، ولو رضعة كاملة، ولا بغيره من الأغذية إذا علم استناد الوصفين: الاشتداد والنبات المذكورين إلى خصوص الرضاع المذكور، لا إليه وإلى الفاصل من غيره، ولا إلى خصوص غيره بطريق أولى، ولا مع الشكّ في استنادهما إلى أحدهما أو إليهما، فضلاً عن الظن بالاستناد إلى خصوص الثاني، أعني الفاصل المذكور، ولا مع الظنّ بالاستناد إلى خصوص الأول، أعني الرضاع المذكور، وإن كان الاجتناب في الصورة الأخيرة أولى للاحتياط، بل وفي الأولى أيضاً، أعني صورة الشكّ وإن كان ضعيفاً، بل وفي الثانية وإن كان أضعف، بل وفي الثالثة وإن كان أضعف من الجميع.

وبالجملة، إذا لم يعلم استناد الوصفين المذكورين إلى خصوص الرضاع المذكور لا يحكم بالحرمة مطلقاً، لعدم تحقّق الشرط، والله العالم.

الثالث: ـ وهو عدد الرضعات ـ: أن يبلغ خمس عشرة رضعة كاملة، متّصلة غير منفصلة برضاع امرأة أخرى، ولو رضعة واحدة كاملة، ولا تضرّ الناقصة، ولا الفصل بغير الرضاع من المأكول والمشروب،

ما لم يكن الفاصل معتدّاً به، كما إذا كان يومين أو أزيد مع تغذي الرضيع بالأغذية، أو برضعات ناقصات من غير المرضعة، فإن في نشر الحرمة حينئذٍ إشكالاً، والأظهر كما أنه الأحوط النشر.

هذا كلّه مع عدم العلم باستناد الاشتداد والإنبات إلى أحد الأمرين من الرضعات المذكورة والفاصل، أو إلى الجميع وإلّا فليأت التفصيل السابق في الشرط السابق.

إلى هنا انتهى ما برز من قلمه الشريف.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الرسالة الرابعة: في الرضاع أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة: لو كان لزيد زوجتان، إحداهما فاطمة مثلاً، والأخرى خديجة، وكان لكلّ واحدة منهما ابن وبنت، فاللذان من فاطمة محمّد وصفيّة، واللذان من خديجة عليّ ومريم، ثم ارتضع عليّ من امرأة عمرو، وكان لعمرو من هذه المرأة ابن وبنت، حسن وزينب، فهل يجوز لحسن أن يتزوج بأخت عليّ من الأب وهي صفيّة، التي هي أخت محمّد من الأم، أم لا؟

وهل يجوز لمحمّد الذي هو أخ لعليّ من الأب أن يتزوج بأخت حسن وهي زينب أم لا؟

ما حكم هذه المسألة مع مدركه من الكتاب والسنة، مشروحاً؟

الجواب

الأقوى حليّة نكاح حواشي المرتضع مطلقاً، ولو كانوا من أولاد أبيه في فروع المرضعة والفحل، وبالعكس على كراهية، وفاقاً للمشهور، ومنهم الشيخ الطوسي في (المبسوط)[١]؛ للأصل وعمومات النكاح وإطلاقاتها. وضابطه حصر المحرّمات بالرضاع فيما يحرّم من النسب، المستفاد من النبوي المتواتر بين الفريقين «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[٢] ولو بقرينة وروده في مقام بيان ذلك وغيره، فإن مقتضى هذه الضابطة دوران الحرمة في الرضاع مدار صدق العناوين المذكورة في الآية الشريفة، عرفاً ولغة، فإنّ تلك الأسماء مما لم يتصرف الشارع فيها أصلاً لا في النسب ولا في الرضاع، بل إنما جاء من الشارع أحكام رتّبها عليها في النكاح وغيره، أما في النسب فواضح، وأما في الرضاع فلأن تلك الأسماء كانت معروفة في لغة العرب بالنسبة إليه أيضاً، كالنسب، ولم يعهد من الشارع تصرّف فيها ولا تحديد لموضوعاتها أصلاً، بل إنما جاء منه ما يتعلق ببيان أحكامها، مثل قوله ﷺ: «**الرضاع لحمة كلحمة النسب**»، وقوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»، ونحو ذلك مما هو من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ، متعلق ببيان ما

---

(١) المبسوط ٤: ٢٠٧.

(٢) الكافي ٥: ٢/٤٣٧، سنن البيهقي ٧: ٧٤٥ / ١٥٦١١.

هو المحرّم من تلك العناوين الحاصلة بعلقة الرضاع، بعد أن بين ما هو المحرّم من تلك العناوين بالنسبة إلى علقة النسب كتاباً وسنّة.

فالمرجع فيها كسائر الألفاظ التي لم يتصرّف الشارع فيها إلى العرف واللغة قطعاً، ومن المعلوم إنما هو المحقّق من التسمية في المقام عرفاً ولغة، أن ما هو عناوين أخ الأخ، وأخت الأخت، وأخ الأخت وبالعكس، لا عنوانا الأخ والأخت. وظاهر أن ما هو المحرّم منها في النسب إنما هو هذان العنوانان، وأما تلك فليس شيء منها بمحرّم في النسب إلّا مع الاتحاد بأحدهما، فلو كان لأخيه من الأب أخت لأمه خاصّة وبالعكس، جاز له نكاحها قطعاً في النسب، فكذلك في الرضاع بحكم الضابطة المذكورة. وحيث إنّ ما نحن فيه ليس إلّا تلك العناوين خاصّة، من دون اتحاد لها مع أحدهما، فلا موجب للتحريم قطعاً.

هذا كلّه، مضافاً إلى أنه نصّ موثقة يونس بن يعقوب: سألت أبا عبد الله عن امرأة أرضعتني وأرضعت صبياً معي، ولذلك الصبي أخ من أبيه وأمه، فيحل لي أن أتزوج ابنته؟ قال: «**لا بأس**»[١][٢].

---

(١) الوسائل ٢٠: ٣٧١، ب ١ من أبواب ما يحرم بالرضاع، ح ١، سنن البيهقي ٧: ٤٥٧/ ١٥٦١١.

(٢) التهذيب ٧: ٣٢٣، الوسائل ٢٠: ٣٦٩، ب ٦ من أبواب ما يحرم بالنسب، ح ٣.

حيث إن حلية أولاد أخي الأخ لا تنفك عن حلية من ولدها قطعاً.

بل وموثقة إسحاق بن عمار أيضاً في رجل تزوج أخت أخيه من الرضاعة قال: «**ما أحب أن أتزوج أخت أخي من الرضاع**»[١]؛ فإن نفي الحب كالنص في الجواز مع الكراهة.

ومما ذكرنا ظهر وجه الكراهة أيضاً.

هذا، ولكن المحكيّ عن الشيخ في (الخلاف)[٢] و(النهاية)[٣] الحكم بالحرمة، مدّعياً عليه الإجماع في أولهما، وربما مال إليه جملة ممن تأخر أيضاً لاستصحاب الحرمة السابقة، ولصحيحة أيوب بن نوح: كتب علي بن شعيب إلى أبي الحسن: امرأة أرضعت بعض ولدي، هل يجوز لي أن أتزوج بعض ولدها؟ فكتب عليه السلام: «**لا يجوز ذلك لك: لأنّ ولدها صارت بمنزلة ولدك**»[٤].

وصحيحة ابن مهزيار: سأل عيسى بن جعفر أبا جعفر الثاني عليه السلام: أن امرأة أرضعت لي صبياً، فهل يحلّ لي أن أتزوج ابنة زوجها؟ فقال لي: «**ما أجود ما سألت! من هنا يؤتى أن يقول الناس: حرمت عليه**

---

(١) الكافي ٥: ٤٤٤، الوسائل ٢٠: ٣٦٨، ب ٦ من أبواب ما يحرم بالنسب، ح ٢.

(٢) الخلاف ٤: ٣٠٢.

(٣) النهاية: ٤٦٢، وما فيها خلاف المحكي.

(٤) التهذيب ٧: ٣٢١، الوسائل ٢٠: ٤٠٤، ب ١٦ من أبواب ما يحرم بالرضاع، ح ١.

امرأته من قبل لبن الفحل هذا هو لبن الفحل لا غير»، فقلت له: إن الجارية ليست ابنة المرأة التي أرضعت لي، هي ابنة غيرها. فقال: **«لو كن عشراً متفرقات ما حلّ لك منهن شيء، وكنّ في موضع بناتك»**(١).

وتقريب الاستدلال بهما في المقام من وجوه:

أولها: الاستدلال بعموم العلّة المصرّح بها في الصحيحة الأولى بل والثانية أيضاً، حيث إن قوله عليه السلام: **«وكن في موضع بناتك»** بعد قوله: **«حرمت عليه امرأته من قبل لبن الفحل»**... إلخ في قوة التعليل أيضاً كما لا يخفى؛ بدعوى أن المستفاد من التعليل المذكور فيهما، بعد إلغاء خصوصيّة الولدية والأبوة، والإضافة إلى المخاطب فيه، كما هو القاعدة المطّردة عند القائلين بحجية قياس منصوص العلّة، أن علّة التحريم إنما هو الصيرورة بمنزلة إحدى المحرّمات في النسب بسبب الرضاع، والوقوع موقعها، فيكون سبب التحريم بالرضاع أحد الأمرين: إمّا حدوث واحد من تلك العناوين بأنفسها منه، أو النزول به منزلة واحد منها، فيطرد الحكم باطراد علّته. فنقول فيما نحن فيه: بأن أخت الأخ وأخت الأخت مثلاً وإن لم تكونا أختاً عرفاً ولغة، ولكنهما بمنزلتهما قطعاً، فيلحقهما حكم الحرمة، بحكم

---

(١) التهذيب ٧: ٤٢١، الوسائل ٢٠: ٣٩١، ب ٦ من أبواب ما يحرم بالرضاع، ح ١٠.

عموم العلّة المذكورة. وبهذا التقرير ثبت مقالة القائلين بعموم المنزلة في الرضاع، بل وليس لهم حجّة يعتدّ بها إلّا ذلك، كما لا يخفى.

وثانيها: الاستدلال بما فيها من عموم التنزيل، مع قطع النظر عن عموم التعليل، بدعوى أن إطلاق تنزيلهم منزلة أولاد أب المرتضع، إنما يقتضي إلحاق جميع أحكام الوالدية لهم، ومن جملة تلك الأحكام تحريم مناكحتهم مع سائر أولاده.

وثالثها: دعوى الدلالة على التنزيل في المقام أيضاً، لزعم اتحاد مفهوم الأخ أو الأخت مع ابن الأب وابن الأم وبنتهما، عرفاً ولغة، لوقوع التعبير بهما فيهما كثيراً، قال الله تعالى: ﴿**قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي**﴾[1].

وبالجملة، مرجع هذا الوجه إلى دعوى أن التنزيل منزّلة أولاد الأب، هو بعينه عبارة أخرى عن تنزيل كل واحد منهم منزلة الأخ أو الأخت للباقي، لا أنه مستلزم له.

ورابعها: دعوى الدلالة من جهة أن تنزيلهم منزلة أولاد أبي المرتضع مرتّب على التنزيل في المقام، بجعل بعضهم أخوة لبعض أو لا، فإنه مسبّب عنه، بديهة أنه لم تكن علقة بينهم وبين أبي المرتضع، لولا ثبوت هذه العلقة بينهم وبين المرتضع، فلا يعقل ثبوته بدونه كما لا

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

يخفى.

وخامسها: دعوى الدلالة من جهة مجرّد الملازمة بين التنزيلين مطلقاً، ولو لكونهما معلولين لعلّة ثالثة؛ أو ذاك علّة، وهذا معلول على عكس ما ذكر في الوجه السابق.

وسادسها: دعوى الدلالة من جهة أن المستفاد من النصوص أن علّة تحريم الأخت إنما هو اتحاد الأب أو الأم أو كليهما، فإذا دلّ النصّ على تنزيلهم منزلة أب واحد فقد تحقّق مناط الحرمة هنا، ولو جعلاً، فلابد من الحكم بها لتحقق مناطها، وضعف الكلّ ظاهر.

أما الاستصحاب فلأنه وإن كان بنفسه مقدّماً على سائر الأصول، لا سيّما إذا كان جارياً في موضوع جزئي كما في المقام، ولكن لمّا كان الشكّ في بقاء الحرمة في هذا الموضوع الجزئي وتأثير العقد مسبباً عن الشك في أصل الحكم الكلي، أعني: حلية نكاح أخت الأخ من الرضاع مثلاً وعدمها، وكان الأصل فيه هو الحلّ والإباحة كان المحكّم هو الأصل الجاري في الحكم الكلي، لكونه سبباً.

سلمنا، ولكنه مقطوع بالعمومات والإطلاقات، وما تقدّم من الموثقين.

أما الصحيحتان فلإمكان الجواب عن:

الوجه الأول من وجوه الاستدلال بهما، الذي هو دليل القائلين بعموم المنزلة، بأن حجيّة قياس منصوص العلّة مسلّمة، ولكن

التمسك به هنا فرع إلغاء خصوصية الأبية والوالدية والإضافة إلى المخاطب، في قوله: «**لأنهن بمنزلة ولدك**». وفهم أن علّة التحريم إنما هي الصيرورة بمنزلة إحدى المحرّمات في النسب كما ذكر، وهو ممنوع، فإنّ أقصى ما يقطع به إنما هو عدم خصوصيته للأخير، أعني: الإضافة إلى السائل، لفهم العرف خلافه.

وأما الأولان فلا قطع، بل ولا ظنّ بعدم خصوصيته لهما أصلاً، بل المظنون بمقتضى ظاهر اللفظ خلافه جدّاً كما لا يخفى. وما هو القاعدة المطردة عند القائلين بحجيّة منصوص العلّة أيضاً إنما هو إلغاء خصوصيّة الإضافة في العلّة المضافة إلى الأصل، نحو قوله ﷺ: «**حرّمت الخمر لإسكارها**»[1]، لا إلغاء سائر القيود أيضاً جميعاً كما هو واضح لا يخفى.

وبالجملة، مدخليّة القيود المذكورة في النصّ في مقام بيان العلّة أو الحكم وعدم مدخليّتها أمر يختلف باختلاف المقامات، فما لم يحرز عدم المدخليّة لا يمكن التمسّك بعموم العلّة قطعاً. ودعوى القطع بعدم الخصوصيّة للقطع بعدم الفرق بين تلك العناوين المحرّمة، عهدتها على مدّعيها.

وعن الوجه الثاني بأن التمسّك بعموم التنزيل، إنّما يصحّ في صورة

---

(١) لم نعثر عليه بهذا النصّ، بل في بعض الكتب: «لكونها مكسرة». الحدائق الناضرة ١:٦٣، ٦٤، ونسبه للشارع الأقدس.

كون التنزيل مطلقاً، لا تعيين فيه بوجه مع عدم ما يصلح لكونه قرينة على التعيين، فإن مقتضى دليل الحكمة حينئذٍ إنما هو إحراز العموم في مثله. وظاهر أن ما نحن فيه ليس كذلك؛ بديهة أنه وارد في مقام التعليل، لحرمة نكاح أب المرتضع في أولاد المرضعة وصاحب اللبن، فإرادة التنزيل بالنسبة إليه معينة لا محالة، وإنّما الشكّ في إرادة غيره. ومعلوم أن دليل الحكمة لا يجري في مثله، بل الواجب فيه إنما هو الاقتصار على المتيقن، مع أن الورود في المقام المذكور مما يعين إرادة التنزيل بالنسبة إليه خاصّة أيضاً، كما لا يخفى.

وعن الثالث بمنع الاتحاد جدّاً، والمنع من كون التعبير عنها بابن الأمّ ونحوه شاهداً عليه، لظهور أنه من باب الاتحاد مصداقاً لا مفهوماً، كما يشهد به عدم الاطّراد إلّا مع الاتّحاد مصداقاً، كما لا يخفى.

وعن الرابع بأن الذي ترتّب ذلك عليه ـ وهو العلّة ـ إنما هو ثبوت الأخوّة بين أولاد المرضعة خاصّة، لا بينهم وبين حواشي المرتضع، والمتنازع فيه إنّما هو الثاني دون الأول، فإنه مما لا شكّ فيه بعد كونهم جميعاً من أولاد أمّ واحدة كما هو واضح.

وعن الخامس بأن التنزيلات الشرعيّة إنما تترتب عليها الآثار الشرعية دون الآثار العقلية، والآثار الشرعيّة المترّتبة على الآثار العقليّة، وحيث إنّ الملازمة المذكورة عقليّة، فلا دلالة فيما ذكر في النصّ من التنزيل، لا على ثبوت لازمه ولا على آثاره، كما لا يخفى.

سلّمنا، ولكن نقول: إن الملازمة بين العنوانين لا توجب ثبوت الملازمة بين التنزيلين، فإن الملازمة بين وجوديهما الحقيقيين الخارجيين لا وجوديهما الجعليين كما لا يخفى.

وعن السادس بأن كون العلّة ذلك غير معلوم، واستفادته من النصوص ممنوعة، كما لا يخفى.

وأما الجواب عن الصحيحين ـ بأنهما على خلاف الضابطة المستفاد من قوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»، ومع ذلك منافٍ ما فيهما من العلّة للخبرين السابقين، فيجب حملهما على الكراهة أو طرحهما، وعدم العمل بهما، حتى في موردهما كسائر النصوص الواردة في حرمة إنكاح أبي المرتضع في أولاد المرضعة وصاحب اللبن. ولذا كان مختار الشيخ في (المبسوط) والقاضي وابن فهد والابي مدعياً الأخير أنه المشهور حليّة نكاح أبي المرتضع فيهم ـ ففيه[1] ما لا يخفى من الوهن؛ بديهة أن أقصى ما يستفاد من قوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**» إنما هو الظهور في الحصر، والظاهر لا يعارض النصّ، بل إنما يحمل عليه، فكيف إذا كان في البين صحاح مستفيضة وغيرها من المعتبرة، كما في المقام؟ وتوهّم المعارضة بين ما فيها من العلّة والخبرين السابقين أيضاً مبنيٌّ على فهم عموم في العلّة، وهو ممنوع كما سمعت، مع أنه لو سلم

---

(١) جواب أمّا الواردة في أوّل الكلام أعلاه.

العموم أيضاً لم يكن من المعارضة في شيء، فإنّ العام لا يعارض الخاصّ، كما هو واضح.

وأما دعوى الشيخ الإجماع في (الخلاف) فهو موهون بمصير المشهور إلى خلافه، بل ومخالفته بنفسه له في (المبسوط) كما سمعت أيضاً، فلا عبرة به جدّاً. والله تعالى العالم بحقائق أحكامه.

وبختام هذه الرسائل، نختم الجزء الثاني من كتابنا (الأزهار) والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله باطناً وظاهراً.

وقد وافق الفراغ من نسخه صباح يوم الإثنين الخامس من شهر رجب الحرام، سنة ١٣٧٧ هـ، سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (على مهاجرها وآله أفضل الصلوات وأكمل التحيّة) بقلم الأحقر سليم ابن المرحوم الحاج قاسم ابن العارف أحمد ابن الشيخ مدن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ ناصر بن محمد الجارودي القطيفي (عفا الله عنهم جميعاً).

فهرس عبقرية الإمام ابن معتوق

١ـ ميلاده ٦
٢ـ ابتداؤه في طلب العلم ٦
٣ـ هجرته إلى النجف الأشرف ٧
٤ـ أوبته إلى الوطن ٧
٥ـ كراماته ٩
٦ـ قربه المعنوي ١٠
٧ـ المجيزون له .....
إجازة العلامة السيد علي أصغر الخثائي ١٣
إجازة آية الله السيد أبي تراب ١٤
أيضا إجازته له ١٦
إجازة العلامة الشيخ محمد تقي الشيخ أسد الله ١٧
إجازة العلامة السيد محمد الحسيني الكاشاني ١٨
٨ ـ إجازته للعلامة الميرزا موسى الحائري ٢٠
٩ـ مدائحه ٣٦
١٠ـ مكاتباته ٣٩
١١ـ مؤلفاته ٤٦
١٢ ـ شعره ٤٧
في شأن الصديقة الكبرى عليها السلام ٤٧

في استنهاض صاحب الأمر عليه السلام ٤٨
في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام ٥٢
أيضاً في رثائه(ع) ٥٣
في شأن أهل البيت عليهم السلام ٥٤
في رثاء الحسين عليه السلام ٥٤
في خروج الحسين من مكة إلى كربلاء ٥٥
في رثاء الحسين عليه السلام ٥٧
في رثاء أبي الفضل العباس عليه السلام ٦٠
في رثاء الحسين عليه السلام ٦٣
في شأن نساء الحسين عليه السلام ٦٥
في رثاء الحسين عليه السلام ٦٦
في رجوع نساء الحسين عليه السلام إلى المدينة ٦٩
١٣ـ وفاته ٧٣
خاتمة تشتمل على بعض رسائل صاحب الترجمة ٧٨
الرسالة الأولى: منية المشتاق لتحقيق الاشتقاق ٧٨
الرسالة الثانية: سفينة المساكين لنجاة الشاكين ٩١
الرسالة الثالثة: في الرضاع ١٠٦
الرسالة الرابعة: في الرضاع أيضاً ١١٨
الفهرس ١٢٩

ديوان ابن معتوق

حجة الإسلام العلاّمة الشيخ عبد الله بن معتوق
القطيفي المتوفى ١/ ٥/ ١٣٦٢ هـ

بقلم

العلاّمة الفاضل الشيخ علي الشيخ منصور المرهون

اعتنى بطبعه وإضافة هوامشه

محمد أحمد الشيخ محمد صالح

منشورات
مؤسسة الهداية
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

منشورات

مؤسسة الهداية
بيروت - لبنان

بيروت - لبنان - هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢ - ٧٠٠٦٦٦٩١ - ٠٠٩٦١
سوريا - دمشق - ص.ب: ٧٣٣ - السيدة زينب - محمول: ٠٠٩٦٣٩٤٤٣٥٦٥٨٤ و٠٠٩٩٤٠٧٣٥٥٤
البريد الإلكتروني: E-mail: mnmnmn3@hotmail.com

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وسلام على عباده الذين اصطفى:

وطني لو شغلت بالخلـد عنـه نـازعتني إليـه في الخلـد أمّـي

إهداءً إلى الوطن العزيز بلادنا القطيف عامة وتـاروت خاصـة نقـدم هذا التراث الغالي الذي يضم بين دفتيه حياة شخصية فـذة هـي مـن أميـز شخصياته البارزة ورعاً وعلماً وتقى وزهـداً وتواضـعاً فهـو منهـا وإليهـا، راجين أن لا يكون بينهم في سوق كساد وأن لا يكون لديهم أقل اعتناءً من سائر الكتب الأجنبية، فإنـه مـن أجـلّ مـا يفخـرون بـه عـلى ممـر الـسنين والأعوام، ولا يطلب في مقابله إلا قيمة الورق ومصرف الطباعة؛ ليتـسنى للجميع اقتناؤه بدون أي تكليف، وحتـى يتمكنـوا مـن الانتفـاع بـه عـلى السواء، والله ولي التوفيق.

المساهمون

تقريض

بقلم العلامة حجة الإسلام
الشيخ عبد الكريم الجزائري (مد ظله العالي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد أنبيائه محمد وآله الطاهرين.

لقد أجاد مؤلف هذا الكتاب الفاضل التقي الشيخ علي نجل المرحوم العلامة الشيخ منصور المرهون (دام توفيقه)، حيث ذكر فيه بعض آثار المترجم المرحوم حجة الإسلام الشيخ عبد الله المعتوق، وإن هذا المترجم من خيرة من أنجبته بلاد القطيف من علمائها الأعلام وهذا بعض نظمه، وأما آثاره العلمية وصفاته الحسنة من أخلاقه الدينية وجودة فهمه واجتهاده في الأحكام الشرعية فحدث عنها ولا حرج، وفق الله المؤلف لحفظ آثار العلماء وإحياء ذكرهم، إنه ولي التوفيق.

عبد الكريم الجزائري
١٦/ ٧/ ١٣٧٥هـ

توطئة وتمهيد

وإذا نظـرت إلى البقـاع وجـدتها تشقى كما تشقى النفوس وتسعد

فسعادة النفوس وشقاؤها ناشئان من سوء الاختيار وحسنه المقدرين من عالم الذر على حد قوله عليه السلام: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه» بما للحـديث مـن التوجيهـات التـي مهـما تـشعبت لا تعـدو نتيجتها حديث: «أمر بين أمرين» وتحقيق ذلك موكول إلى مظانه إذا شئت المزيد.

أما البقاع فشقاؤها وسعادتها ناشئان عما كوّن فيها من نفـوس عاليـة وثابة لإيجاد المصالح العامـة متـصفة بـصفات الملائكـة تحملهـا ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[2]، وعمّا كـوّن فيها من نفوس شريرة واطئة تهش لمصالحها الشخـصية مهـما كلفـت حـال المقابل غير مبال بشيء مردداً: (إذا مت عطشاناً فلا نـزل القطـر). فالبيئـة

---

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

بأولئك تكون معراجاً للملائكة، وبهؤلاء تكون محلاً للشياطين وليس معنى السعادة والشقاء إلا هذا وذاك.

أما المتعارف لدى كثيرين من الناس أن المراد بسعادة البقاع هو ما يكون عليها من أبنية عالية وقصور مشيدة فليس بشيء؛ إذ قد تكون تلك الأبنية وهاتيك القصور محلاً لكل ما يخل بالاعتدال الروحي والنظام النوعي كما هو المشاهد في كثير من ذلك، ومثل ذلك يصلح لأن يكون سبباً للشقاء لا لما زعموه. اللهم إلا أن يقال: إنهم حملوا الشيء على ضده كما قد يحمل على نظيره فمتجه.

وعليه، فإن البقاع التي قدر لها أن تكون سعيدة أو شقية أو سعيدة من ناحية وشقية من ناحية أخرى فكثيرة جداً لا يحصيها إلا الله، حيث إن الدنيا بأسرها على هذه الوتيرة قديماً وحديثاً، غير أن غرضي أن أقدم للقارىء الكريم بيئة من تلك البيئات التي قدر لها أن تكون سعيدة بما قدر لها من إيجاب التقدم إلى كل مستوى فاضل علماً أدباً تقىً ورعاً زهداً ثقافة تاريخاً حضارة إباءً اجتهاداً نضالاً، كل ذلك برجال ضمتهم بين جوانحها أوائل القرن الرابع عشر وإن كانت قبل ذلك وبعده ممن لم نرهم يوجد فيها من يسد الثغرة ويصيب الرمية؛ كالعلامة العلم المجاهد الشيخ حسن علي البدر المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ؛ لكن أولئك الرجال الذين اتفق اجتماعهم في

تلك الآونة لم تكن لتحلم به بلاد من سائر البلدان الإسلامية إلا ما كان من البلد التي هي محط الرجال لرواد العلم والحقيقة؛ كبغداد في عصرها والحلة في وقتها والنجف حتى يوم الناس هذا، ومكة المكرمة والمدينة المنورة قديماً وحديثاً.

إن تلك البيئة هي بلادنا ـ القطيف ـ فقد نفر منها أثناء القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر عشرات من الأماثل لطلب العلوم الدينية ومعرفة الأحكام الشرعية؛ لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، فهم أحد المصاديق لقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [1]، فحطوا الرحال على التعاقب في جامعة العلم النجف الأشرف، فلم يكونوا بأقل من غيرهم من سائر الجاليات الأخر لهذه الغاية؛ بل والمواطنين، فكانت لهم اليد الطولى في الأبحاث الخارجية حينما يحضرون ويحضر غيرهم فضلاً عن سائر الأبحاث السطحية، فلم يزالوا مثابرين حتى حازوا من ضالتهم المنشودة قصب السبق وفازوا بالقدح المعلى، وقضت الظروف بعودتهم إلى الوطن العزيز والأم الرؤوم، فعادوا بالتعاقب - طبعاً - مزودين بكل ما يجب مما يدفعهم على تأدية رسالتهم على الوجه الأكمل، فينذروا قومهم بما يقوم بأود دينهم من تعليم شرائع الإسلام ورفعهم من حضيض الجهل إلى

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

أوج المعرفة، فحينما اطمأنت بهم الدار أضاءت بهم البلاد واستنارت بهم القرى وكثر الدرس والتدريس والتساؤل عن أحكام الدين؛ حتى لكأن القطيف قطعة من النجف، ولا بدع فهي الأصل والفرع يشبه أصله، ومر عليها ردح من الزمن يطلق عليها هذا الاسم مقروناً بكاف التشبيه مرموقة بعين الاحترام والتبجيل من صاحب الجلالة وأصحاب السمو، حتى بدأها النقص من أطرافها بموت أولئك الأبدال أولاً فأولاً ومعظمهم في عام واحد شيء لم يخطر على ذي بال ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[1] أخص بالذكر منهم من عرفته واتصلت به ورأيته، ومن بينهم والدي (تغمد الله الجميع برحمته) مرتباً ذكرهم على حسب وفياتهم:

١ - العلامة الدكتور الفيلسوف الشيخ محمد الحاج ناصر آل نمر أهل العوامية، توفي ٩/ ١٠/ ١٣٤٨هـ.

٢ - الفاضل الشيخ منصور الحاج محمد الزاير، توفي ٢٥/ ١٢/ ١٣٥١هـ.

٣ - الفاضل الشيخ رضي الحاج إبراهيم المحروس، توفي ١٠/ ١٠/ ١٣٥٢.

٤ - الفاضل الشيخ أحمد الحاج علي العطية توفي ١٤/ ١/ ١٣٥٣.

٥ - الفاضل الشيخ محمد علي الحاج أحمد الجشي، توفي ٨/ ٨/ ١٣٦١.

٦ - العلامة الشيخ علي الحاج حسن علي الخنيزي المتولي للقضاء أربعين

---

(١) سورة الروم: الآية ٤.

سنة[١]، وكان القاضي الوحيد للسنة والشيعة، توفي ٣/ ٢/ ١٣٦٢.

٧ - العلامة الشيخ عبد الله بن معتوق المعني بهذه الذكرى بعد ثلاثة عشر سنة من وفاته، توفي ١/ ٥/ ١٣٦٢.

٨ - الفاضل الشيخ علي بن حسن بن حسان، [توفي] ٢٦/ ٦/ ١٣٦٢.

٩ - الفاضل الشيخ منصور الحاج علي المرهون، [توفي] ٣٠/ ٦/ ١٣٦٢.

١٠ - الفاضل الشيخ منصور بن عبد الله السيف، [توفي] ٢٢/ ١٢/ ١٣٦٢.

١١ - العلامة الشيخ علي أبو حسن الخنيزي، [توفي] ٢١/ ١١/ ١٣٦٣[٢].

١٢ - الفاضل الشيخ علي الشيخ جعفر العوامي، [توفي] ٦/ ٥/ ١٣٦٤.

١٣ - الفاضل الشيخ عبد الحي بن منصور المرهون، [توفي] ٢٠/ ٢/ ١٣٦٦.

١٤ - العلامة السيد ماجد السيد هاشم العوامي، [توفي] ٧/ ٤/ ١٣٦٧[١].

---

(١) اقرأ ذكراه تحت عنوان (الزعيم الخنيزي) تجده حافلاً بمزاياه الفاضلة في ص١٦٦.

(٢) راجع ذكراه تحت عنوان (الإمام الخنيزي) تجده حافلاً بمزاياه الكريمة التي كان لها أثرها الفعال في نفوس المجتمع، فقد مشى رحمه الله بأمته على ضوء العلم الصحيح منقذاً لهم من حضيض الجهل إلى أوج المعرفة، وهذه الذكرى وسابقتها للكاتب المتضلع الأديب الشيخ عبد الله الخنيزي.

٧/ ٤/ ١٣٦٧[1].

١٥ - الفاضل الشيخ رضي الحاج علي الصفار، توفي ٢/ ١٣٧٤.

١٦ - الفاضل الشيخ محمد صالح البريكي، توفي ٦/ ١٣٧٤.

هذه ثلة من الأماثل الذين رأيناهم أواخر أعمارهم رؤية لم تشف غليلاً دعتنا حريين بقول المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

بل إن هذا البيت في الحقيقة يصدق على من كان قبلنا ممن رآهم وانتفع بالحياة معهم دنيا وأخرى، أما من جاء بعدهم من المعاصرين فمصداق لمن قال في جوابه:

هم على كل حال أدركوا هرما ونحن جئناه بعد الموت والعدم

فما هو إلا أن فقدوا حتى اختلط الحابل بالنابل، وأصبح حديث الدين لدى الكثيرين كحديث أمس الدابر، فإن وجدت منه شيئاً فهو من باب «يحوطونه ما درت معائشه، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) اقرأ ذكراه الحافلة بمزاياه الفاضلة، فقد أعيرت اهتماماً لا مزيد عليه فيما يقرب من مائة وخمسين صفحة.

هذه لمحة عابرة عن البلاد القطيفية وعلمائها توجب لك الإيمان بأنها في صف غيرها من سائر البلدان العلمية، وإن أردت مزيد الاطلاع فعليك بالقصيدة العصماء في ماضي القطيف وحاضرها لناظمها الفاضل الملا علي الرمضان، وتعليقتها للأستاذ الشيخ فرج العمران فإن فيها ما يشفي الغلة، وأوسع منها كتاب (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين) لمؤلفه العلامة الشيخ علي الشيخ حسن القديحي[1]، وأراني وإياك عاجزين عن الإلمام بما انطوت عليه هذه اللمحة من تاريخنا المجيد، فهل لك أن ننتهي إلى شخصية من هذه الشخصيات البارزة لنقف على حياتها ونقرأ شيئاً من تاريخها ثم نودع الموضوع بسلام؟ بلى إذاً فلنعبر الجزيرة حتى نستظل تحت ذلك العلم المرموق من أقصى هجر إلى جزيرة أوال وما والاها، ألا وهو العالم العلم الأواه آية الله الشيخ عبد الله بن معتوق فإنه ضالتنا المنشودة من هذا التحرير، فعسى نتصل بمن يمت به ليعرفنا ما نستمد منه إفادة عن تلك الحياة المفعمة بأنواع الكمال والتي هي نبراس الفضيلة في الأقوال والأفعال.

---

(١) المتوفى في ١١/ ٥/ ١٣٤٠هـ.

١ ـ نسبه ومولده وموطنه

هو العلامة الجهبذ الثقة الثبت حجة الإسلام الأواه الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين بن مرهون متصلاً نسبه العالي إلى إحدى القبائل العربية العريقة في النسب، وآل مرهون أفخاذ متعددة متفرقون في كثير من الأمصار كالقطيف والبحرين والبصرة والكويت وغيرها.

ولد (رضوان الله عليه) في حدود سنة ١٢٧٤ الرابعة والسبعين ومائتين وألف تقريباً في بلاد آبائه وأجداده (تاروت) إحدى تلك القرى الأربع التي تضمها تلك الجزيرة المعروفة بجزيرة تاروت وهي أوسعها؛ بل أوسع القرى القطيفية عامة، والأخرى قرية (داريـن) وربما هي التي عناها من قال من قديم الزمن:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وأختها الثالثة (الزور) والرابعة (السنابس) القريبة من تاروت، وهذه القرى الأربع في هذه الجزيرة بعيدة العهد قديمة الأثر لما وجد فيها

من آثار تدل على أنها أقدم بلاد في هذه المقاطعة، ويوجد فيها حتى الآن - وخصوصاً في تاروت - من الأبنية القديمة والآثار الغريبة ما تقف دونها أفكار أهل العهد الحاضر، مع ما هي فيه من الترقي من إيجاد ما عجزت عنه أفكار أهل العهد الغابر، وهذه الآثار تذكرنا قول أهلها بلسان الحال:

إن آثارنـــا تـــدل علينـــا فـــانظروا بعـــدنا إلى الآثـــار

وتتصل هذه الجزيرة مباشرة بالقطيف من طريق السفن والدواب والمشي عند انخفاض طغيان ماء البحر، والمفهوم أن الإدارة الملكية قد صحت بإيجاد جسر فني يوصل هذه الجزيرة بأمها القطيف؛ ليتسنى للجميع أن يتبادلوا المنافع بأسرع وقت ممكن، حقق الله الآمال بفضله علينا ثم بفضل مولانا جلالة الملك (أعزه الله وأيده وأطال في عمره وجعله ذخراً للعروبة والإسلام).

٢ ـ نشأته واشتغاله

نشأ في حجر أبيه الطاهر محباً للخير وذويه، خفيف الروح قوي الهاجس حصيف الفكر، موجهاً لكل خير؛ فطنة وذكاء وروية وتفكيراً، فما بلغ العقد الثاني من عمره إلا وقد حفظ الكثير من العربية وما يترتب على أوائل الاشتغال، واستمر متلمذاً على كلا الشيخين الشيخ علي الشيخ حسن آل الشيخ سليمان، المتوفى ١١/ ٥/ ١٣٤٠، والشيخ أحمد آل طعان، المتوفى ١/ ١٠/ ١٣١٥، حتى بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة تحصل فيها على ما عُد به من أميز المشتغلين من أقرانه مناهل البلاد، ولما طمحت نفسه (ولا بد أن تطمح) لكمال تحصيل العلوم الدينية ليؤدي رسالته كما يجب تجهز للهجرة حيث جامعة العلم (النجف محط رواد العلم والحقيقة).

٣ ـ هجرته وإقامته وإجازاته

في سنة الخامسة والتسعين والمائتين والألف صحت عزيمته على الهجرة إلى النجف الأشرف وله من العمر اثنان وعشرون سنة، فنزلها ومهمته ضالته، فاتصل من أجلها بكثيرين من العلماء والمتعلمين، فكان ذلك الرجل الاجتماعي الذي ينفع وينتفع لا تذهب عليه ساعاته عبثاً ولا أيامه سدى، عارفاً بقول: أعطه - أي العلم - كلك يعطك بعضه، وحديث «العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب»، مع وجود الأسباب والمقتضيات، حيث إنه بعيد عمن هو عنه بمعزل كما نجد ذلك جلياً في حديث الصادق عليه السلام لعنوان البصري.

ضل مترجمنا مثابراً مكباً على الدرس والتدريس والحضور تحت منابر العلماء الأعلام من مجتهدي عصره طيلة سنين لا تقل عن نيف وعشرين سنة، حاز فيها قصب السبق وفاز بالقدح المعلى، وأصبح ذلك المجتهد الذي يشار إليه، مؤيداً بالشهادات الاجتهادية المعززة بالإجازات العامة، والمعثور عليها منها في طي أوراقه وكتبه خمس إجازات اجتهادية من أربعة

أعلام من مجتهدي ذلك العصر، وسأذكر لك من كل واحدة نموذجاً يدلك على بقيتها روماً للاختصار.

الأولى: من العلامة السيد علي أصغر الغروي الخثائي ومن ألفاظها قوله: (العالم الكامل المحقق، والفاضل السديد المدقق، التقي النقي الوفي الصفي، ثقة الإسلام ومروج الأحكام الشيخ المهذب الورع المعتمد جناب الشيخ عبد الله القطيفي، فإنه (أدام الله بقاه ومن كافة الأسواء وقاه) بذل عمره الشريف في تحصيل علوم الدين والارتقاء بمدارج اليقين، وبلغ مرتبة الاجتهاد وحوى الملكة المستقيمة التي عليها الاعتماد فوق ما يؤمل ويراد، وهو حقيق أن يرجع إليه ما يرجع إلى الفقهاء الكرام) الخ.

الثانية: من حجة الإسلام العلامة الأواب السيد أبو تراب، مؤرخة في ١٧/ ٢/ ١٣١٩، ومن ألفاظها قوله: (العالم العامل السعيد والفاضل الكامل الوحيد، البالغ إلى عليا رتبة الفقاهة والاجتهاد وقصوى درجة التقوى والسداد، العالم الرباني والفاضل الصمداني الشيخ عبد الله بن معتوق البحراني، نفع الله بفضله الأقاصي والأداني) الخ.

الثالثة: من العلامة السيد المذكور آنفاً تاريخها ١١/ ٢/ ١٣٢٤، ومنها قوله: (مجتهد مطلق يحرم عليه التقليد وله القضاء والفتوى والتصرف في الأمور بما شاء، وللناس الرجوع إليه في أمور الدين ومعالم الدين، وهو ثقة

مأمون) الخ.

الرابعة: من حجة الإسلام الشيخ محمد تقي آل الشيخ أسد الله، مؤرخة في ١٠/ ٦/ ١٣٢٤، منها قوله: (قد جمع المنقول والمعقول، وحاز ملكة رد الفروع على الأصول، مع تحقيق في طول باع وإحاطة بموارد الاختلاف والاجتماع، وقد دخل بذلك في سلك المجتهدين وعاد إمام المحققين، لا ينقض حكمه ولا ترد فتواه والراد عليه راد على الله) الخ.

الخامسة: من حجة الإسلام السيد محمد الحسيني الكاشاني، تاريخها ٢٤/ ١١/ ١٣٢٦، منها قوله: (وحوى سبيلي السداد والرشاد، وترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فله رفع الخصومات في مقام المرافعات، فيجوز للمقلدين تقليده ويجب عليهم تأييده وتسديده) الخ.

هذه شهاداته المصرحة باجتهاده وأهليته للمرجعية العامة المعروفة لدى الحاضر والباد.

وبعد أن قضى تلك المدة التي أشرنا إليها آنفاً في النجف الأشرف شد الرحال منها إلى كربلاء المعلى حسبما اقتضاه ذلك الظرف، فأقام فيها ما يقارب ثمانية عشر سنة تقريباً إماماً لجماعة بعض مساجدها.

٤ ـ أثناء إقامته في العراق

في خلال هذه المدة التي لا تقل عن اربعين سنة ـ هي جملة إقامته في العراق بين النجف وكربلاء ـ زار الوطن القطيفي مسقط رأسه ومحل مولده ثلاث مرات، وأنشد لسان حاله في الثالثة قول الشاعر:

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

الأولى: في سنة ١٣١٢، فما استقر في بلاده إلا يسيراً حتى استأنف الرحلة إلى الأحساء للدراسة على عالمها الوحيد الشيخ محمد بن عيثان المتوفى سنة ١٣٣١ [لنيل] بغيته من العلوم الحكمية، ثم رجع إلى وطنه فبقي شهوراً وقفل راجعاً إلى العراق.

الثانية: في سنة ١٣١٨، فلما وصل تباشروا به وحفوا من حوله، غير أنه لم يقم عندهم إلا قليلاً حتى أزمع الرحلة منشداً ضالته، فودع بسلام ورجع إلى العراق للمرة الثالثة.

أقام هناك ردحاً من الزمن حتى سنة ١٣٣٧ أزمع الترحال إلى وطنه مهتماً برسالته، غير أن العراقيل التي نشأت من جراء حدوث الحرب

العظمى أوجبت تعطيلاً في البصرة لا يقل عن شهرين لكثير من الناس كان مترجمنا في طليعتهم، غير أن ذلك بالنسبة إليه بصورة احترامية، فكان تحت المراقبة بدون أن يشعر أحد حتى هو نفسه، ذاك أنه اتهم بالجاسوسية أمام الحاكم العام في البصرة، فأرسل إليه غير مرة، فلم يجد عنده ما يظن، (ولما سمع علماء العراق بذلك كتبوا إلى الحاكم بتبرير مسلكه وتنزيه شأنه، وأنه بريء الساحة سليم الجانب عما اتهم به، وأنه قد شغله علمه وتقواه وزهده وورعه بالأمور الدينية عن الأمور الدنيوية، فعند ذلك هيأ له باخرة تسافر به إلى البحرين مع كمال الزاد والاستعداد والمتاع، حتى وصل إلى البحرين، ولما وصل طلب منه سكان الباخرة أن يكتب لهم صكاً بأنه وصل سالماً لم يصبه منهم ما يكدره ويؤذيه، فكتب لهم ذلك). هذه هي العناية الربانية لمن أخلص لله تعالى في السر والعلانية، وإلا فمتى هيأ كوكس باخرة من البصرة إلى البحرين بما لها من معدات على حساب عالم من علماء الإسلام لا يشركه فيها أحد إلا عياله وأطفاله، ومن يتعلق به مودعاً بسلام؟ إلا لمترجمنا المعروف لدى كل من اتصل به وعرف من حياته شيئاً بالزاهد الأواه.

٥ ـ أخلاقه

المعروف أن العلم إذا كان طلبه لله ﷻ يقود صاحبه إلى الأخلاق الفاضلة والمزايا الكريمة وإلى أرقى مستوى فاضل زهداً وورعاً تقىً عفافاً صيانة إباء ديانة حلماً، بين كرم نفس ودماثة خلق ونزاهة ذيل، إلى غير ذلك من صفات الكمال كما هو الحال مع مترجمنا (قدس الله روحه)، فقد عرفه بذلك البعيد منه فضلاً عن القريب إليه، ورأى الاستدلال على ذلك شيئاً مستدركاً لا قيمة له على حد قول الشاعر:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

فهو ذلك الذي بلغ من الإباء حداً لا نظير له، تأتت له المادة فرفضها، وقد جرى له مع بعض الأمراء مثل ما جرى لأبي ذر مع معاوية حين رد مئات الدنانير المهداة إليه منه، فتأمل جيداً فقد والله أحدث موته فراغاً لا يسده غيره، ولا يزال حتى يومنا هذا شاغراً، لذا كان فقده خسارة لا تعوض على القطيف بصورة عامة وعلى تاروت بصورة خاصة، إلا أن يقيض الله سبحانه من يقوم مقامه، وما ذلك على الله بعزيز، فإن في النجف اليوم من طلبة العلم من أهالي تاروت من يرجى فيهم النجاح ويؤمل فيهم الخير، وعسى أن يؤوبوا إلى بلادهم بما هو فوق الأمل منشدين:

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وفقهم الله لمراضيه وجعل مستقبل أمرهم خيراً من ماضيه.

٦ ـ في الوطن

لا أشك أن البلاد القطيفية عامة وتاروت خاصة كانوا في انتظاره ليرجعوا إليه في أمور دينهم ودنياهم، فجاءهم على طموح منهم وحل بين ظهرانيهم، فكان الأب الروحي والطبيب المشفق والمرجع الديني العام، وقد أقبلت عليه القلوب بما لها من اختلاف في الأهواء والمشارب والأذواق، معروفاً بالشدة في ذات الله، دائباً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأقواله بعد أفعاله كما شوهد ذلك منه مراراً مع الفريقين، كما أنه كان على جانب عظيم من الزهد والورع والتقى والكرم يشهد له بذلك الوجدان الذي هو أكبر البزاهين البحتة، وقد كانت بلاده تاروت ـ على عهده ـ محط الأمل وموضع الرجاء مقصداً للوفود على اختلاف مقاصدهم لما أوتي من علم جم وكرم نفس يباري السحاب، وفي شهر رمضان خاصة يأمر بفتح حانوتين يخصص أحدهما للسادة والآخر للفقراء، خصلة لم توجد في غيره من نظرائه من المراجع الدينية اللهم إلا في النجف الأشرف فدائرتها أوسع من أن توصف، وقد قل ما بيده سنة من سني أواخر عمره لقلة وارده في تلك الآونة، وقد أطل شهر رمضان

فضاق الحال به ذرعاً، فاهتم اهتماماً كبيراً لا مزيد عليه، فوجه جل خطابه ـ الذي اعتاده بعد الصلاة في الغالب ـ في النصائح والوعظ والأحكام الدينية في بيان ما يجب من الحقوق الشرعية، رجاء أن يأتي من الحقوق ما يخفف غلواء هذه المهمة ويسد من أولئك المحتاجين فورة جوعهم، فما راعه إلا انسحاب الناس اشمئزازاً مما يلقيه من ذلك، واستثقالاً منهم لدعوة الخير فإنهم ينفرون زرافات ووحداناً بعد الفراغ من الصلاة بلا فاصل خلاف عادتهم[1]، فلما رأى ذلك ضاق ذرعاً لما يفوتهم من مصلحة. الوعظ، فما لا يدرك كله لا يترك كله، فاستخار الله تعالى في العدول عن

(١) كما هو الشأن بالنسبة لخطباء المنبر الحسيني، فالمعتاد منهم بالتنبيه على الأحكام الشرعية واللوازم الدينية والواجبات الإلهية من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما أمر الله به قليل الجماعة المستمعة له، في حين أن المعتاد بالتاريخ وإن كان جاهلياً والقصص وإن كانت خيالية وسائر الفكاهات والمضحكات والظرائف كثير الجماعة المستمعة، وإذا كان ولا بد فلا نعدو (قصص القرآن) فإن فيها مضافاً إلى ما نروم من القصص إفادات وتعاليم عن الأمم الخالية والقرون الماضية، وليس التاريخ إلا هذا. أضف إلى ذلك ما فيها من العظات والعبر مما يكبح جماح الباغين ويقتضي تنبيه الجاهلين ويقود إلى السعادة، وليس الهدف من المنبر الحسيني إلا ذلك، وهذه نصيحة أزفها لزملائي الكرام سائلاً ربي الكريم أن يوفقنا لما فيه لصالح العام لا دعاية لكتابي فقد تكفل به غيري وصرت بالنسبة إليه كواحد من سائر الناس.

بيان ما يجب من الحقوق ليعودوا إلى ما كانوا عليه من استماع النصائح والمواعظ وسائر الأحكام، فوافقت الخيرة بالإنذار والتهديد، ونص الآية التي خرجت عليه: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

فجاء كعادته متأبطاً للقرآن الشريف، فما فرغ من صلاته حتى استقبل الناس بوجهه قائماً على قدميه قائلاً: لا يخرج أحد، إن عندي لكم بشارة اسمعوها وشأنكم، فلم يتحرك منهم أحد فقال: إني بعد لا أعود إلى بيان ما يجب عليكم من الحقوق إذا كانت موجبة لحرمانكم استماع النصائح والمواعظ والأحكام بأمر من الله تعالى، فقد استخرته في القرآن فخرجت علي هذه البشارة لكم وهي قوله تعالى ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ﴾ وتلا الآية الشريفة مكرراً لها مراراً، فما مضى ذلك اليوم حتى ورده ما تمكن به من فتح الحانوتين كالعادة، فلنلاحظ أن المواظبة على الوعظ والإرشاد في أغلب الأوقات والتعيينات في الأسواق مما يرفع الخجل والذل والهوان عن المستحق، والمجاهدة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ميزه عن كثير من أقرانه، وجعله في طليعة أولئك الذين اتصفوا بأمثال هذه الصفات على الإطلاق، مضافاً إلا ما يحمله من ورع وتقوى وزهداً وإنابة إلى خالقه،

(١) سورة الحجر: الآية ٣.

حتى عرف بالأوّاه مما يجب اطمئناناً بما كتبه الفاضل الشيخ فرج العمران في كتابه الأزهار المتضمن الذكرى التي ألفها في شأن مترجمنا، فقد مهد لنا الطريق بذكراه حيث كانت أحد مصادرنا فيما كتبنا وحاز فضيلة السبق، وكتابه الأزهار[1] كاسمه كله أزهار كتاب جليل نافع أشبه شيء بكشكول الشيخ يوسف ذلك الكتاب القيم الذي يتطلبه العالم والمؤرخ والأديب والمتعلم على السواء، وفق الله أهل البلاد لطبعه ونشره والانتفاع به، فإنه من أجلّ مفاخرهم، كما أن له (أطال الله بقاه) مؤلفات أخرى قيمة مطبوعة ومخطوطة، يقول في ذكراه عن مترجمنا: (حقاً أقول: إن لهذا العبقري الفذ كرامات باهرة ومناقب زاهرة دالة على وجود قرب معنوي بينه وبين خالقه تعالى، ولكنها لا تعتدل على أفكار أهل العصر الحاضر، لذلك طوينا عن ذكرها كشحاً وضربنا عن نشرها صفحاً، وكيف لا ينكرون كرامة العلماء الروحانيين وقد أنكروا الكثير من معاجز الأنبياء والمرسلين وكرامات الأوصياء القديسين)[2]، ذكر من ذلك أشياء تجدها في الذكرى والأزهار الآنفين الذكر.

---

(١) انظر المجلد١، ج٢: ٣٣٥ ـ ٤١٧، من الطبعة الجديدة. ومرّت في القسم الأول من هذا الكتاب. (م).

(٢) الأزهار الأرجية، المجلد١، ج٢: ٣٣٧. (م).

٧ ـ مكانته العلمية وآثاره

مما تقدم عرفنا أن المترجم في الرعيل الأول من المجتهدين الجديرين بالزعامة الدينية، كما أنه في الرعيل الأول أيضاً يلازم ذلك مما يجب أن يكون عليه العالم من التقى والورع والزهد والكمال والأدب والعدالة والصيانة والعفاف والكرم والرأفة والحنان والخضوع والإنابة والطاعة لخالقه (تبارك وتعالى)، مما يمتاز به العالم عن الشيطان الرجيم فإنه كان عالماً ولكنه [كان] خالياً من كل ما يوجب خيراً، فإنه الذي يقول في جواب أمر المولى (تبارك وتعالى) حينما أمره بالسجود لآدم عليه السلام ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1]، وإلى هذا يشير من قال:

لو كان في العلم من دون التقى شرف ... لكان أفضل خلق الله إبليس

فمترجمنا عليه الرحمة لما كان مضافاً إلى العلم الجم متصفاً بصفات الكمال البشرية ـ بتمام معنى الكلمة ـ كان أهلاً للمرجعية العامة، وبعد أن كان مورداً للشهادات الاجتهادية أصبح مصدراً لها وعرفه بذلك الخاص والعام.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

فرجع إليه في التقليد أهالي تاروت على الإطلاق إلا قليلاً منهم وكثير من أهالي القطيف من القلعة وما جاورها وسائر القرى وخلق كثير من أهالي الأحساء وجماعة من أهل البحرين، ومقتضى ذلك أن يكون هناك من الرسائل العلمية ما يعول عليه فيه لمن يرجع في التقليد إليه، والذي أحطت به خبراً أن هناك آثار تفيد المطلع عليها بما يغنيه:

١ - حاشية على العروة الوثقى: كتبها بخطه على بعض نسخها.

٢ - رسالة مختصرة سماها سفينة المساكين لنجاة الشاكين.

٣ - رسالة وجيزة في أحكام الرضاع.

٤ - تعليقة ضافية على رسالة العلامة السيد هاشم الأحسائي، المتوفى سنة ١٣٠٩، أثبت فيها ما ترجح في نظره من الأحكام الشرعية إلا أنها لم تكمل.

٥ - رسالة في علم الهيئة ومعلومية الأفلاك السماوية.

٦ - رسالة أسماها بمنية المشتاق لتحقيق الاشتقاق.

إلى غير ذلك من آثاره الجميلة التي ذهب معظمها كأدراج الرياح لما هي فيه من التشويش والإهمال ولا سيما بعد وفاته.

٧ - ديوان شعر باللغة الفصحى، يشتمل على ثلاثة عشر قصيدة من

الغرر بين طويلة وقصيرة في مراثي أهل البيت عليهم السلام نقدمه قريباً إن شاء الله تعالى تحت عنوان (عبقريته الأدبية)، وقد طبع بعضها في رياض المدح والرثاء.

ولم تكن شهرته وصيته وسمعته الطيبة واستحقاقه للزعامة الدينية في بلاده وما والاها منها في الخارج، فتلك البصرة والنجف وكربلا مملوءة بسمعته الطيبة وذكره العاطر، وقد كنت ذات ليلة حاضراً في مجلس بعض الزعماء الدينيين في النجف الأشرف فجاء ذكر مترجمنا فشفعه ذلك الزعيم بجميل الذكر وبليغ الثناء وذكر أيامه المزدهرة في النجف بالدرس والتدريس، وترحم عليه وترضى عنه، مما يدل على أن له في الأوساط العلمية من المكانة السامية ما هو أهل لها بجدارة واستحقاق.

وشخصيته من شأنها الاتجاه إلى الخلق لا بد وأن تكون بطبيعة الحال كعبة إلى المخلوق، لذا عطفت عليه القلوب واتجهت إليه الأفئدة، ورمقته الأبصار، فتوجهت إليه الشعراء بمدائحهم وإن كره ذلك، وقد صرح لبعض من أنشده في حضرته بعض مديحه قائلاً: (لست أستحق المدح). نعم كذلك يقول من امتحن الله قلبه بالإيمان، فكان ذليلاً في نفسه عزيزاً عند الله سبحانه وسائر مخلوقاته.

٨ـ وفاته وتأبيناته

في تلك السنة التي انطوى فيها كثير من أعلام الدين ودعاة الخير ورواة الصدق في القطيف والنجف وغيرهما لبى مترجمنا دعوة ربه ولحق بالرفيق الأعلى عن عمر قارب التسعين سنة، وأراني عاجزاً عن بيان ما لحق البلاد وأهلها من الأسى عند موته، بل في مرضه الذي مات فيه، فقد أشفقوا عليه إشفاقاً ليس بالقليل.

وقد رئيت ليلة وفاته علامات دلت على ذلك، فقد غفا أول تلك الليلة بعض من يتولى تعليله وتمريضه فرأى كأن القمر قد انخسف، فما أُول إلا بموته، فكان الأمر كذلك بعد ثلاث ساعات، ولا بدع فإنه قمر يضيء بنور العلم والعقيدة والإيمان الراسخ يغذي بذلك قوماً لولا ذاك ما كانوا في شيء مما هم عليه اليوم.

أجل انخسف ذلك القمر وخمد ذلك الضوء في الساعة السادسة من ليلة الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة الثانية والستين والثلاثمائة وألف ذلك العام العصيب، وقامت الواعية في داره، فتدارك الناس في بيته من

أرض جبل تاروت، قد علاهم الحزن وأحاطتهم الكآبة، ورغماً على فقد وسائل المخابرات حينذاك فقد اتصل الخبر بعاصمة القطيف وما والاها قبل طلوع الشمس بل الفجر، فعطلت الأسواق وسائر الأعمال، واتصلت القطيف بتاروت من جميع الطبقات مشاطرة لها في هذه الفاجعة العظمى فإن لها النصيب الأوفر منها، فخف أهلها مسرعين ليدركوا تشييع ذلك الجثمان الطيب والعنصر الطاهر، وكنت في من خف مسرعاً فلا والله ما رأت عيني بأكثر باك ولا باكية على فقيد مثله من أهل العلم إلا قليلاً.

سار موكب تشييع جنازته من أرض الجبل إلى المسبلة العامة التي أعدها هو رحمه الله لتغسيل الأموات، وهناك أدرك المتأخر من المشيعين النائين فجلسوا واجمين زرافات ووحداناً قد علاهم الحزن وأحسوا بالخسارة الباهظة التي لا عوض لها، فما فرغ من تجهيزه حتى علا التكبير، فثاب الناس يتبادرون سريره ودموعهم الحارة تجري على خدودهم، حتى [إذا] وضعت الجنازة للصلاة هدأت الأصوات وتقدم العلامة المرحوم السيد ماجد العوامي الشهير وصلى إماماً لذلك الجم الغفير، ورفعت الجنازة إلى المقر الأخير تشيعها القلوب الحزينة والعيون الدامعة والأفئدة الخافقة، ودفنوا بدفنها الأمل المنشود ورجعوا مسترجعين يرددون قوله تعالى: ﴿إِنَّا

لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١] ومنشدين:

أهكـذا بركـات الأرض ترتفـع أهكـذا الـنقص في أطرافهـا يقـع

وأقاموا كثير الفواتح والتآبين على الفقيد الغالي حتى لكأن القطر القطيفي قطعة مآتم على اختلاف طبقاته، ورثاه شعراؤه بكثير من القصائد والكلمات المهمة، تُلي أكثرها في فواتحه وتآبينه، فمنها قصيدة الأستاذ الشيخ فرج العمران[٢] التي يقول فيها:

خذي يا صروف[٣] الدهر فاضل مهجتي

فإني سئمت العمر بعد أحبتي

سئمت حياتي والحياة ذميمة

عقيب أحبائي وأهل مودتي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(٢) العلامة المحقق الشيخ فرج ابن الملا حسن آل عمران، من الأسر العلمية المشهورة في القطيف. ولد سنة ١٣٢١هـ وتوفي سنة ١٣٩٨هـ، حضر عند جمع من مشاهير العلماء في القطيف والنجف. وله مؤلفات كثيرة، من أشهرها الأزهار الأرجية. للمزيد؛ يراجع أنوار البدرين ٢: ١١٥ . (م).

(٣) جمع صرف. وصروف الدهر: حِدثانه ونوائبه. القاموس المحيط: ١٦٠٨ ـ صرف. (م).

أحبــة قلبــي أيــن بنــتم عــن الحمــى
ونــــادي لبانــــاتي ومــــألف ســــلوتي
أخــذتم فــؤادي يــوم ســارت ظعــونكم
فــما حــاجتي بعــد الفــؤاد بجثتــي
وبعــدكم قــد هــدّ رضــوى تجلّــدي
فمــن لي بلقيــاكم ولــو عمــر ســاعة؟
كــأنّ الليــالي أقــسمت أن تــسيئي
بقــومي فبئــست مــن يمــين وحلفــة
ومــا لي ذنــب غــير أن أحبتــي
لقــد رفــضوا الــدنيا بكــل طريقــة
كمثــل التقــي الزاهــد الــورع الــذي
غــدا للتقــى والزهــد رمــز الحقيقــة
هــو الــشيخ عبــد الله ذو العلــم والحجــا
نــصير الهــدى والــدين شــيخ الــشريعة
أتــى هــذه الــدنيا فقــيراً وقــد مــضى
فقــيراً ولم يأبــه لــدنيا دنيــة

مـــضى لجنـــان القـــدس وهـــو مقـــدس

ومـــا ارتـــاح يومـــاً في الزمـــان لزهـــرة

عليـــه المعـــالي قـــد أقامـــت مآتمـــا

وهـــل للمعـــالي مـــن عـــزاء وســـلوة؟

مـــآتم فيهـــا المكرمـــات صـــوارخ

ولكـــن مـــن تنعـــاه بيـــت القـــصيدة

وأضـــحت نـــوادي العلـــم قفـــراً عراصـــها

كـــأن لم تكـــن للعلـــم دار إقامـــة

فيـــا هـــضبات المجـــد حزنـــاً تدكـــدكي

أهـــل بعـــد هـــذا مـــن عـــماد مثبـــت؟

أهـــل بعـــد هـــذا للمعـــالي مـــشيد

بإظهـــار حـــق أو بإخفـــاء بدعـــة؟

نعـــم لـــيس للعليـــا أب متعطـــف

ســـوى ماجـــد تنميـــه خـــير أرومـــة[1]

---

(١) ولد عـام ١٢٧٩هـ، وتوفـاه الله في الكاظميـة في الـسابع مـن ربيـع الآخـر سـنة ١٣٦٧هـ. ودفن في رواق الحضرة المقدسة بعد أن صلّى عليه العلامة الـشيخ راضي آل ياسين رحمه الله. انظر الأزهار الأرجية، المجلد١، ج٣: ٤٤٥. =

هـــو الـــسيد المـــولى المؤيـــد ذو التقـــى
فتـــى هاشـــم العليـــا وركـــن الهدايـــة
نعـــم وعـــلي حجـــة الـــزمن الـــذي
إليـــه الهـــدى ألقـــى زمـــام الزعامـــة[1]
إليـــه الـــورى ألقـــت مقاليـــد أمرهـــا
ومـــن كعـــلي المرتـــضى للبريـــة[2]
أعـــزيكم يـــا معـــشر العلـــما الأُلى
فجعـــتم بأهـــل العلـــم أعظـــم فجعـــة

= والأرومة: الأصل. وتُضم. والجمع أروم. القاموس المحيط: ٣٨٩ ـ أرم. (م).
نـال درجـة الاجتهـاد بـشهادة الـسيد أبـو تـراب الخوانـساري، وشـيخ الـشريعة الأصفهاني، والسيد كـاظم اليـزدي. تجـد تلـك الإجـازات في أنـوار البـدرين ٢: ٣٢٦.(م).

(١) يشير إلى حجة الإسلام العالم العلم الشيخ علي أبو حـسن الخنيـزي الآنـف الـذكر أيضاً في سلسلة وفيات العلماء (أعلى الله مقامهم).
ولد ﷺ عام ١٢٩١هـ، وتوفي عام ١٣٦٣هـ. فقيه مجتهد، تولى مقاليـد الأمـور في القطيف، وقد تلقى أولى إجازاته من السيد أبـو تـراب الخوانـساري. لـه مؤلفـات مهمة منها: دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسـلام، الخلـسة مـن الـزمن، لـسان الصدق: انظر في ترجمته في أنوار البدرين ٢: ٣٧٥/ ٦٣. (م).

(٢) لا يخفى لطفه ومعناه البديع.

وأرجـــو إلهـــي أن يمـــنّ علـــيكم
بـــصبر ويخـــتص الفقيـــد بجنـــة
فقـــد فـــاز بالـــذكر الجميـــل مخلـــداً
وأســـكنه التـــاريخ (أرفـــع روضـــة)

١٣٦٢

* * * * *

ومنها قصيدة للشاعر الكويتي زين العابدين يقول في آخرها مضمناً تاريخ الوفاة:

لمـــا قـــضى النحـــب روح القـــدس أرخـــه
تبكـــي المجـــالس حزنـــاً لابـــن معتـــوق

١٣٦٢

وحبذا لو عثرنا على القصيدة بكاملها لأثبتناها برمتها؛ لكنا لم نعثر منها إلا على هذا البيت الأخير، تغمد الله الشاعر بالرحمة فقد توفي رحمه الله قبل ثلاثة أعوام تقريباً.

ومنها قصيدة للفاضل الشيخ حسين القديحي[١] الشهير يقول فيها:

والهفتاه على الدين الحنيف لقد
ثلمت مبانيه وانهارت شناخبه[٢]
وأصبحت عرصات[٣] العلم دارسة
مذ غاب عنها شهاب العلم ثاقبه
ومادت الأرض بالنوح العظيم كما
فوق السماوات قد قامت نوادبه
من أين للعلم رايات ترف وقد
مادت رواسيه وانهارت جوانبه؟
من أين للجود فياض وقد نضبت
بحارة الفعم[٤] وانجالت سحائبه

---

(١) المولود في ١٨/ ٨/ ١٣٠٢هـ، والمتوفى في ١٣/ ١١/ ١٣٨٧هـ عالم فاضل مجتهد، مؤلف. أجازه بالاجتهاد السيد أبو تراب والسيّد محمد مهدي الأصفهاني والشيخ عبد الكريم الزنجاني. ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع ذكرى أبي لولده الأستاذ علي. (م).

(٢) جمع شنخوب، وهو أعلى الجبل. القاموس المحيط: ١٣٢ ـ الشنخوب. (م).

(٣) جمع العرصة، وهي (كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء). القاموس المحيط: ٨٠٣ ـ عرص. (م).

(٤) الفُعم: جمع الفَعم، وهو الممتلئ. القاموس المحيط: ٤٧٨ ـ فعم. (م).

لا غـرو إن ناحـت الأمـلاك في المـلأ الـ

أعـلى وفـوق الثـرى قـد صـاح نادبـه

إذ كـان للـدين ركنـاً والعفـاف أبـاً

فالـدين ينعـاه والتقـوى يجاوبـه[1]

قومـوا نعـزي بـه المـولى العـماد ومـن

شريكـه كـان في التقـوى وصـاحبه

الـسيد الماجـد الـبر الكـريم أبـا الـ

ـفـضائل الغـر مـن شـاعت مناقبـه

قومـوا نعـزي جميـع المـؤمنين بـه

فإنـه ركـنهم وانهـد جانبـه

لا بـل نعـزي إمـام العـصر سـيدنا

فإنـه في أمـور الـدين نائبـه[2]

* * * * *

(١) في الأصل: يجاوبه. وما أثبتناه من المصدر. (م).

(٢) الأزهار الأرجية، المجلد١، ج٢: ٣٨٠، ذكرى أبي ٢: ١٩٢. (م).

وقلت في ذلك قصيدة تحت عنوان:

قد أثكل الدين الحنيف

لمـــن المعـــالي نكـــست أعلامهـــا
وعـــلا جميـــع العـــالمين ظلامهـــا
عـــلام أصـــبحت الأنـــام بدهـــشة
زلـــت فـــما ثبتـــت بهـــا أقـــدامها
تبكـــي بلهفـــة والـــه وتحـــسر
تبكـــي بقلـــب شـــب فيـــه ضرامهـــا
نبئـــت أن العـــالم العلـــم الـــذي
ممـــن بـــه للـــدين قـــام دعامهـــا
مـــن كـــان أهـــلاً يقتـــدى بفعالـــه
إذ كـــان في كـــل الـــورى علاّمهـــا
هـــو نجـــل معتـــوق الـــذي لا مثلـــه
في (خطـــه) إذ كـــان فيـــه إمامهـــا

قـــد أثكـــل الـــدين الحنيـــف بفقـــده
فعـــلاه مـــن حـــزن عليـــه قتامهـــا[١]
رحمـــاك ربي كـــل عـــصر فجعـــة
تقـــذي[٢] العيـــون فـــلا يقـــر منامهـــا
لله خطـــب مـــا عرفنـــا مثلـــه
مـــن وقعـــه حقـــاً تطأطـــأ هامهـــا
فارقـــت عبـــد الله شـــعباً لم يـــزل
في حاجـــة طاشـــت بـــه[٣] أحلامهـــا
شـــعب تفـــرق بعـــد خـــير عـــصابة
وغـــدت تعيـــث بـــه اللئـــام طغامهـــا[٤]

---

(١) القَتام: الغبار. القاموس المحيط: ١٤٨٠ ـ القتام. (م).

(٢) القذى: (ما يقع في العين وفي الشراب، وما هراقت [أي قذفت] الناقة والشاة من ماء ودم قبل الولد وبعده). القاموس المحيط: ١٧٠٦ ـ القذي. (م).

(٣) طاشت: من الطيش، وهو النزق والخفة وذهاب العقل. والطّوش أيضاً: خفة العقل. القاموس المحيط: ٧٧٠ ـ الطوش، الطيش.

(٤) الطّغام: جمع طغامة. وهم أوغاد الناس. وتطلق على رذال الطير. القاموس المحيط: ١٤٦٣ ـ الطغام. (م).

ذهـــب الـــذين حيـــاتهم مـــشتقة
مـــن كـــل خـــير لا يـــرام مرامهـــا
هـــذي القطيـــف تعـــج في أصـــواتها
لمـــا فقـــدت وألحـــدتك رغامهـــا[1]
هـــذي العلـــوم فمـــن لهـــا متكفـــل
إن جـــاء يطلبهـــا إليـــك كرامهـــا
لله أنـــت أبـــو الفـــضائل كلهـــا
علـــماً تقـــى ورعـــاً فأنـــت قوامهـــا
أنـــت التقـــى والعلـــم فيـــك تجمعـــا
فبـــك اســـتبان حلالهـــا وحرامهـــا
مـــن ذا هـــو (الأواه) يعـــرف بيننـــا
لقـــب تفـــرد فيـــك أنـــت وســـامها
هـــذي بـــلادك والـــبلاد لأهلهـــا
مـــن ذا الـــذي يلقـــى إليـــه زِمامهـــا[2]

---

(١) الرغام: التراب. القاموس المحيط. ١٤٣٩ ـ الرغم. (م).
(٢) مفرد الأزمّة، وهي مقاليد الأمور.

تبكـــي أســـى ودموعهـــا بتلهـــف
تجـــري ورددت الـــشجا أيتامهـــا
مـــن ذا يحـــامي عـــن شريعـــة أحمـــد
جفـــت فلـــم تجـــر بهـــا أقلامهـــا
مـــن بعـــد فقـــدان العلـــوم بأهلهـــا
قـــرت عيـــون شـــلّها إرغامهـــا[1]
مـــن بعـــدهم عجـــت بهـــا أصـــواتها
لمـــن المعـــالي نكـــست أعلامهـــا

* * *

(١) الإرغام: الإذلال والقهر. انظر القاموس المحيط: ١٤٣٩ـ الرغم. (م).

ولا ينبئك مثل خبير

أقدم تحت هذا العنوان كلمة الأديب الشيخ محمد تقي نجل المرحوم الورع الشيخ سلمان بن معتوق أظهر أفراد أسرة آل معتوق اليوم بعد ابيه وعمه. كان أبوه الشيخ سلمان رحمه الله على جانب عظيم من الزهد والورع والتقى، ذلك الثقة الأمين لدى كافة الطبقات خصوصاً الطبقة العلمية، ولقد كان يوم وفاته يوماً مشهوداً في تاروت، وإن أخاه المترجم ذلك الذي بلغ من الصبر على لأواء الزمان شيئاً كبيراً قد تأثر لفقده أثراً عظيماً وبكاه بدموعه الحارة بكاءً لا مزيد عليه، وذلك يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ، (تغمده الله بالرحمة وصب على قبره شآبيب الرضوان، وجعل في نجله المشار إليه خير خلف لأكرم سلف).

المحرر

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وسلام على عباده الذين اصطفى

يهمني قبل كل شيء مما أريد أن أكتبه من حياة فقيدنا الغالي (طاب ثراه) أن أقدم جزيل الشكر ومزيد الثناء لحضرة الأستاذ الفاضل الجليل الشيخ علي، نجل المرحوم العلامة الشيخ منصور المرهون القطيفي، تجاه تلك الخدمة التي قام بها من إحياء ذلك التراث القيم، الذي نحن أولى به منه وأمسّ، غير أنه (أطال الله بقاه)، لا يزال حائزاً قصب السبق في أمثال هذا المشروع وحريصاً جداً على إحياء آثار أمثال فقيدنا حباً منه للدين أولاً، وللوطن ثانياً، تقرباً منه إلى الله تعالى شأنه فحسب، فلا زال مشكوراً بكل عناية وتقدير.

ما عسى أن أكتب في من رباني صغيراً وعلمني كبيراً، فكان الأب الروحي والمرشد الناصح والواعظ البليغ والثقة الأمين والعالم المتضلع والمجتهد الأكبر، ذاك وليّ نعمتي وكل ما أنا فيه من نعمة بفضل الله تعالى ثم

بفضله: عمي شقيق والدي العلامة حجة الإسلام الشيخ عبد الله بن معتوق، الذي أحدث فقده في البلاد عامة وفينا معشر أسرته خاصة شيئاً ليس بالأمر السهل تداركه، ومن ذا الذي يستطيع أن يقوم مقام من لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يبالي في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالمعذلين الذين يرون المصلحة في ترك ذلك؟ كما هو الشأن بعد فقده وفقد أمثاله، لذا أصبحت الناس فوضى و(لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم).

لقد فزت بخدمة عمي العلامة (تغمده الله بالرحمة) ما يقارب من عشرين عاماً توليت فيها أكثر أموره، فرأيت كثيراً من الحقوق المالية ترد عليه فلا تدخل داره بل تبقى في محلها حتى تنفذ لذويها بقسمته العادلة، وكنت أباشر أكثر ذلك ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1]، بهذا ونحوه عرفه الناس بالتقي والورع الأواه كما هو الحق والواقع، فمن ذا الذي تأتت له المادة فرفضها، إلا ذلك الأوحدي من الناس، حيث إنها المحك الحقيقي والمختبر الواقعي.

أما كثرة الصلاة والصيام فربما كان منشؤها العادة لا شيء آخر كما في المأثور، وربما أن فقيدنا الغالي (تغمده الله بالرحمة) كان متصفاً بصفات الكمال (والكمال لله تعالى وحده) من ورع وزهد وتقى وعبادة وإنابة لا

(١) سورة فاطر: الآية ١٤.

يسعنا إلا أن نؤمن بأنه وحيد زمانه (وأبو ذر) وقته (والحق أحق أن يتبع)، مع قطع النظر عن كل قرابة ونسب، عاش رحمه الله عمراً لا يقل عما يقارب التسعين سنة، قضى ما يقارب النصف منها في جوار الأئمة الطاهرين عليهم السلام بين كربلا والنجف لطلب العلوم الدينية، كما مر عليك، وأنهى بقيتها في وطنه وبلاده ومسقط رأسه الذي يعز عليه، فاندفع بكل ما أوتي من قوة آخذاً بأيدي أهله ومواطنيه لما فيه صلاحهم من أمر دينهم، رافعاً لهم من حضيض الجهل إلى أوج المعرفة، مجادلاً بالتي هي أحسن، فكان أباً للصغير وأخاً للكبير، وزوجاً للأرملة، حتى استطاع أن يرقى بكثيرين إلى فوق ما يظنون معرفة بالأحكام الشرعية والأمور الدينية، ومن جراء ذلك ونحوه عظمت المصيبة بفقده وأصبح محله شاغراً يتطلب من يقوم مقامه ليسد هذه الثغرة ويصيب هذا الهدف، وأنى للبلاد بمثله والظرف على استعداد أن لا يكون مثله في كل عمره الشريف؟ عاش سعيداً ومات حميداً غير آسف على شيء خلفه وراءه، إذ ليس هناك شيء، ولا غضاضة بالموت عليه، فلقد وفد على رب كريم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [1] مع أولئك العلماء الأعلام الذين مدادهم أفضل من دماء الشهداء، (فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً).

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٥.

أما الغضاضة وكل الغضاضة، فهي على أولئك الذين خلفتهم أمثاله تسودهم الضوضاء والفوضى، لا آمر بمعروف ولا ناه عن منكر، يدعون فلا يستجاب لهم، وكيف؟ والمقتضيات مفقودة إلا ما شاء الله ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[1]، وهل في الوسع أن يستعاد ذلك المجد وتطل على البلاد أمثال أولئك الأماثل فيأخذون بأيدي الناس منّ جديد إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم، وتعود الهيئة العلمية في البلاد القطيفية المتجاوزة للآحاد الداخلة في العشرات في آن واحد؟! لا أحسب للزمان يجود بذلك؛ ولكن من يدري فليس ذلك على الله بعزيز.

نزيل النجف، في ٣٠/ ٧/ ١٣٧٥هـ

محمد تقي الشيخ سلمان

المعتوق التاروتي[2]

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٩.

(٢) عالم فاضل عاصر كثيراً من الأحداث، وله كثير من الذكريات عنها وعن مشاهداته على مدى عمره المديد، حبّذا لو سُجّلت لتكون معيناً للمؤرخين والكتاب على توثيق بعض الأحداث المهمة (مدّ الله في عمره ونفع به). (م).

عنوان الفضيلة

تحت هذا العنوان نقدم كلمة الفاضل الشيخ طاهر نجل العلامة الشيخ حسن علي البدر أظهر أفراد الجالية القطيفية في النجف الأشرف لطلب العلم، فإنه (أطال الله بقاه) مضافاً إلى مهمته على استعداد كبير للقيام بمهمات مواطنيه مهما كلف الحال، وهم الآخرون لا زالوا يعترفون بذلك، فهو ذلك الجدير بكل حفاوة واحترام من ناحيتهم خاصة ومن غيرهم عامة، فلا زال مشكوراً بكل عناية وتقدير، وكلمته هذه تدل على طهارة ضميره ونزاهة معتقده في الفقيد الغالي، واهتمامه به اهتماماً لا مزيد عليه، وإليكها حرفياً. قال (دام بقاه) [1]:

إليك أيها القارىء كلمة مختصرة متضمنة لما أعلمه من حياة آية الله المقدس الشيخ عبد الله المعتوق عنوان الفضيلة بتمام معناها، هي قصارى ما أستطيعه؛ وإلا فإن الكاتب يعجز عن أن يحوم حول حياة رجل شهد له من لا يقر بالدين الإسلامي بالفضل والزهد كما اتفق لرجل من سادات أهل القطيف يدعى بالسيد علي اسبيع كان معتاداً للسفر إلى الخارج، فاتفق

---

(١) عالم فاضل، ولد به عام ١٣٢٤هـ، وحضر على يد جمع من الفقهاء منهم الشيخ عبد الكريم الحائري، والسيد الحكيم، والسيد حسين الحمامي وغيرهم. توفي فجأة يوم السبت ٢٥/ ١٢/ ١٣٧٧هـ. ودفن في الحباكة، انظر أنوار البدرين ٢: ٤٦٤. (م).

مع أحد التجار في إحدى سفراته إلى مسقط ونواحيها بالباخرة فطالبه بحقه المفروض على أمثاله من الله الكريم، فأجابه إلى ما طلب وأوعده بمال جزيل، غير أنه كلفه بحمل حفيظته كانت معه لعلمه بأن السادة وأهل العلم محترمون لا تفتح أسبابهم[1]، ومن الصدف أن يوجد في الجمرك رجل دنيوي ليس هو من الشرف والروحانيات في شيء، فأخذ الحفيظة من يد السيد وفتحها وإذا فيها مجوهرات ثمينة قيمة تساوي جمركها العادي شيئاً كثيراً، فأخذ السيد وبيده الحفيظة وأُدخل على المدير وأخبره المأمور بموجودات حفيظته فأوقفه ساعتين لا يكلمه إهانة له، ثم رفع رأسه وقال له: من أنت ومن أين؟ فقال: من البحرين، فجعل يسأله عن علمائها فرداً فرداً فقال له: السيد لكني أسكن القطيف، فسأله عن علمائها أيضاً، فأجابه السيد عن كل من سئل، حتى سأله عن العلامة الشيخ عبد الله المعتوق فأجابه قائلاً: إني أخَص الناس به، فلا أسافر حتى أسلّم عليه وأقبّل وجهه ويديه، وحينما أعود لا أبدأ بأحد قبله، فلما سمع المدير ـ ذلك المسيحي النصراني ـ قام قائماً على قدميه ورفع القبعة من على رأسه إجلالاً واحتراماً لاسم الشيخ رحمه الله، وجعل يقسم عليه بالله هل نظرت إلى وجهه؟ فيقول: نعم، فقال المسيحي: [إن عيناً] نظرت إلى وجه الشيخ حرية بالإكرام، فأكرمه إكراماً لا مزيد عليه، وعفا عن رسم ما في الحفيظة وقال للسيد: إن هذا الشيخ ملقب بالزاهد، فإني عرفته في النجف حينما كنت هناك لطلب العلم ولم يفتني شيء مما عليه أمثاله من أولي العلم والزهد.

---

(١) أسباب: كلمة فارسية معناها المتاع. والسبب في اللغة: (الحبل، وما يتوصل به إلى غيره، واعتلاق قرابة،..). القاموس المحيط: ١٢٣ ـ السبب. (م).

أما الطبقة العلمية من أمثاله من أيام اشتغاله إلى أيام وفاته فما منهم إلا من يطريه ويثني عليه، وقد مر عليك في ما كتبه الفاضل صديقنا المخلص الشيخ علي المرهون ما به غنى عن الإعادة، وما سمعته من كلمة العلامة الجزائري في حقه (أنه أحد المراجع المرموقين) من أوضح الأدلة على غزارة علمه ومكانته في الفضل والفضيلة وآثاره شاهدة له على ذلك، فرسالة في الشكوك وأخرى في الرضاع وثالثة في المشتق مواضيع ثلاثة لا يكتب فيها إلا الأوحدي فيما أوتي من المواهب الإلهية فقهاً وأصولاً.

أما الأدب: فله منه النصيب الأوفر والسهم الأعلى، انظر إلى قصائده ومقاطيعه في مراثي أهل البيت عليهم السلام بذلك الأسلوب الرائع والمعاني المبتكرة.

أضف إلى ذلك: ما جبل عليه من كرم النفس، فلقد كان بابه مفتوحاً على مصراعيه للصادر والوارد للمواطنين وغيرهم، مقبلاً بوجهه، طلق المحيا باسم الثغر عدا الهبات والعطايا يمنحها لذويها من المحتاجين.

بهذا ونحوه من مزاياه تعرف مقدار تلك الخسارة العظمى التي أصيبت بها بلاده خاصة وغيرها عامة خسارة باهظة لا عوض لها، وتوالت على هذه البلاد مصائب لا تقل كل واحدة منها عن مثل مصيبته، وأُخص بالذكر قريته تاروت، فقد بقيت خالية منه ومن أمثاله، ولا يزال محله

شاغراً يتطلب من يشغله، وأنى يكون مثله؟ وفق الله ﷻ إخواننا من أبنائها المهاجرين في طلب العلم أن يكونوا خلفاً عن خير سلف.

ويجدر بي أن لا أنسى ما اكتسبته من الكمالات النفسية من زياراتي لفقيدنا الغالي، فقد كنت مع زميلي الشيخ فرج العمران كثيراً ما نتردد لزيارته في كل سنة تبركاً بذلك كما نتبرك بزيارة الأئمة عليهم السلام، فنعود وقد شملنا البشر والفرح مزودين بأخلاق عالية.

نسأل الله أن يوفقنا للجري على ضوئها ويتغمده بالرحمة والرضوان فلقد عاش سعيداً ومات حميداً. والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

نزيل النجف ٩رجب ١٣٧٥

طاهر البدر

البطل الخالد

ذكـــر الفتـــى عمـــره الثـــاني وحاجتـــه
مـــا قاتـــه وفـــضول العـــيش أشـــغال

فيعيش بالعمر الثاني حياة لا تنتهي لحد لا يطرأ عليها أي تغيير، فلئن غاب شخصه فلن يغيب ذكره على حد قول الإمام عليه السلام عند وصفه للعلماء العاملين: «أشخاصهم مفقودة وأعيانهم في القلوب موجودة»[1].

ولا أشك أن المترجم رحمه الله سماحة العلامة العلم الأواه حجة الإسلام الشيخ عبد الله المعتوق في طليعة أولئك الموصوفين بذلك، ها قد مضت على وفاته ثلاثة عشر عاماً وكأنها كانت اليوم أو كأنه لم يمت لذكره الكثير بين عامة الناس وخاصتهم، وكيف ينسى من عرف الناس منه خلالاً قل أن تعرف من غيره تجمع كل خير وصلاح وإصلاح ممثلاً لأهل بيت الرحمة عليهم السلام؟

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٣٥/ ١٤٧، الخصال: ١٨٧/ ٢٥٧، أمالي المفيد: ٢٤٧/ ٣، أمالي الطوسي: ٢٠/ ٢٣، بحار الأنوار: ١٨٧/ ٤. (م).

ففي العلم كان الحجة، وفي أحكام الشرع الشريف المحجة والمثل الأعلى في الزهد والتقوى والآية للموقنين، وفي وعظه وإرشاده يحيي القلوب الميتة، وفي عبادته ودعائه زين عابدي زمانه، وفي كرم نفسه مورداً للغرباء والواردين، وفي رقة قلبه ورحمته ورفته وكريم عاطفته قرة عين للفقراء والمساكين، وفي تصلبه وشدة أوبه لربه قامعة لجور اللاعبين والفاسقين وهيبة في قلوب الأمراء والمستأمرين، فيا لها ذات قدسية اتصفت بصفات قلّ أن تتصف بها أمثالها من أولي العلم؛ بل أكبر الظن أن شكل الزمان عقيم عن إنتاج مثلها وتوليد شكلها إلا ما شاء الله ﷻ.

تغمد الله الفقيد بالرحمة وصب على قبره شآبيب الرضوان.

١٩/ ٧/ ١٣٧٥هـ

حزين

٩ ـ ماذا خلف لنا

يتأتى لنا الجواب على هذا السؤال من نواح ثلاث هي جل ما يخلفه الصفحاء في خلفهم عن سلفهم طبق المأثور عن أئمتهم عليهم السلام: «إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: «علم ينتفع به وصدقه جارية وولد صالح يدعو له»[1]، فلم يمت من خلف ذلك، ومترجمنا في طليعة من خلف ذلك فلم يمت وتفصيلها كما يلي:

الأولى: الصدقة الجارية، وهي المسبلتان العامتان لتغسيل الأموات في جزيرة تاروت، وهما حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها عامرتان معدتان لهذه الغاية.

---

(١) ورد مضمون هذا الحديث في عدة وروايات ذكرت هذه الثلاث كما في الكافي ٧:٥٦/ ١ ـ ٤، الخصال: ١٥١/ ١٨٤، أمالي الصدوق: ٨٧/ ٥٦. (م).

وهناك روايات تذكر أن الميت تلحقه خمس بعد وفاته، انظر الكافي: ٧:٥٧/ ٥، والخصال: ٣٢٣/ ٢٤٦، وسائل الشيعة ١٩/ ١٧٣/ ٢٤٣٨٠.. ومنها أنه تلحقه ست كما في باب الوقف والصدقة والنحل من كتاب الفقيه، انظر روضة المتقين ١٥:٢٥٢. (م).

الثانية: خلف ولدين صالحين أحدهما محمد والآخر محمد حسن، نرجو فيهما كل خير ومستقبلاً صالحاً يبشر بنتائج خيرية، ولا بدع فمن يشابه أبه فما ظلم، والفرع يشبه أصله في الغالب.

الثالثة: تلك الآثار العلمية التي تقدم تفصيلها تحت عنوان (مكانته العلمية وآثاره)، مضافاً إلى آثاره الأدبية التي يجمعها ديوانه المنظوم في مراثي أهل البيت عليهم السلام نقدمه قريباً إن شاء الله تعالى تحت عنوان (عبقريته الأدبية)، ولا يزال ينوه بفضل خدمتهم عليهم السلام وبفضل خدامهم خصوصاً الذاكرين لمراثيهم المخلصين في عملهم، وإنه في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويوم العاشر من المحرم يقوم بمهمة المنبر أحسن قيام حرصاً على ما يترتب على ذلك من الثواب والأجر العظيمين، وربما ختم وعظه اليومي الآنف الذكر شيء من ذلك، فقد أشبه بذلك تقريباً وحيد عصره العلامة المرحوم الشيخ جعفر الششتري صاحب الخصائص الحسينية المتوفى سنة ١٣١٣، (تغمد الله الجميع بالرحمة).

عبقريته الأدبية

تحت هذا العنوان أسجل لمترجمنا تلك اليد البيضاء التي خدم بها الحضرة الحسينية وأسدى بها إلى المجموعة الأدبية يداً تحمل كمية من الأدب الراقي والشعر الفصيح، عاد بها في صف أولئك الذين كانوا مصداقاً لقول الإمام عليه السلام: «من قال فينا بيتاً من الشعر دخل الجنة»[1]، وهذا هو جل ما يتوخاه من اتخاذه هذه الكمية من الشعر في مراثيهم عليهم السلام، مع ما له من الأعمال الجليلة وكونه أحد المصاديق لقول الإمام عليه السلام: «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء»[2] ولا يفوتنا أن نستفيد من هذا: أن الإنسان في الدنيا ينبغي أن يكون بالنسبة إلى الأعمال المفيدة النافعة في

---

(١) مضمون عدد من الروايات أقربها لمضمون هذا الحديث قول الصادق عليه السلام: «ومن أنشد في الحسين عليه السلام بيتاً وأبكى تسعة فله ولهم الجنة..». انظر الروايات في ثواب الأعمال: ١١١ ـ ١١٢، أمالي الصدوق: ١٢٢. (م).

(٢) مضمون حديث أبي عبد الله وفيه: «... فتوزن دماء الشهداء على مداد العلماء، فترجح مداد العلماء على مداد الشهداء..». أمالي الصدوق: ٢٣٣/ ٢٤٥، الفقيه: ٤: ٣٩٨/ ٣٨٥٣. (م).

الآخرة بمنزلة التاجر الذي يتجر في البضائع المتعددة، فإن خسر في هذه ربح في تلك، على أن الربح محتمل في الجميع بخلاف الخسران في الغالب، فمن يقدم على ربه عالماً عاملاً تقياً مصلياً صواماً زاهداً ورعاً فعالاً لكل خير أثقل ميزاناً ممن هو دونه، وهو أثقل ممن هو دونه، وهكذا. نسأل الله التوفيق لكل خير.

وهذه الكمية تشتمل على ثلاثة عشر قصيدة بين طويلة وقصيرة، جعلنا كل قصيدة تحت عنوان يناسبها ليسهل على الطالبين تناولها.

وغير خفي أن هذا بعض من كل مما قاله في مراثيهم ﷺ، بيْد أن الذي عثر عليه منه هو هذا القدر بين أوراق ودفاتر وكتب وزوايا رهينة الغبار والأرضة، وباهتمام الفاضل الشيخ فرج العمران ومساعدة الشيخ محمد تقي ابن أخي الفقيد الشيخ سلمان المعتوق، فجزاهما الله خير الجزاء.

فاطمة الزهراء

ما العذر للأمة في ما سلكت
عن ليلة القدر التي قد هُتكت

ما العذر عن زجاجة المصباح
إذ كسرت ظلماً لدى الصباح

ما العذر عن موؤودة إذ سئلت
يوم الجزا بأي ذنب قُتلت

ما العذر للأمة عن أم القرى
إذ عطلت أبياتها عن القرى

ما العذر عما فعلوا من منكر
مما قديماً مثله لم يذكر

ولم يجز عند أولي الأديان
وغيرهم في سالف الأزمان

فهل جرى من أمة في ما سلف
على بنات الأنبيا أهل الشرف

كما جرى على ابنة الرسول
فاطمة الزكية البتول

من الأذى والذل والإهانة
من بعد ذاك العز والصيانه

ما فاطم وهجمة الأشرار
في دارها وهي بلا خمار

ما فاطم ما الباب والجدار
ما الضغط ما الإسقاط والمسمار

ما فاطم ما حمرة العينين
ما الضرب ما اللطم على الخدين

ما الطهر ما إضرام تلك النار
ببابها وهي ابنة المختار

ما فاطم ما مجلس الرجال
ما الطهر ما التكذيب في المقال

ما الطهر ما الدعوى بغير حق
والحق شاهد لها بالصدق

يا ناصر الدين

يـا سـيد الكـون يـا أعـلى الـورى نـسباً
يـا خـير منتجـب مـن خـيرة النجبـا
يـا مـن سـما في سـما العليـاء مرتقيـاً
حتـى عـلا نـوره الأنـوار والحُجبـا
وفـاخر الأنبيـاء المرسـلين بـما
قـد خـصّ ممـا لـه الله الكـريم حبـا
كفـاه فخـراً بـأن كـان النبـي لـه
جـداً وفـاطم أمـاً والـوصي أبـا
فـما تـرى شرفـاً في كـل منتـسب
مـنهم إلى شرف إلاّ لـه نُـسبا
علـيهم فـرض البـاري ولايتـه
فمـن تقـرب مـنهم بـالولا قرُبـا

وقـــد أبـــى الله أن يغـــشي برحمتـــه
مـــن كـــان في الخلـــق طـــراً للـــولاء أبـــى
فـــما مـــن المـــاء والأثـــمار مـــرّ فمـــن
بغـــض وبالحـــب بعـــض طـــاب أو عـــذُبا
ولـــيس يوجـــد مـــن خلـــق بعالمـــه
إلا وقـــد كـــان في إيجـــاده ســـببا
فمـــن تـــولاه يلقـــى خـــير منقلبـــ
ومـــن قـــلاه هـــوى في النـــار منقلبـــا
ومـــن أراد مناجـــاة الإلـــه ولم
يمـــدد بـــه ســـببا لم يـــستطع طلبـــا
يـــا ســـيداً كـــان في عـــرش الجليـــل لـــه
نـــور كـــسا النـــيرين النـــور والـــشهبا
يـــا آيـــة الحـــق حقـــاً يـــا أمانتـــه
والبـــاب والوجـــه والـــسر الـــذي حجبـــا
يـــا عـــروة الحـــق والحبـــل المتـــين ومـــن
هـــو الكتـــاب الـــذي في غيبـــه كتبـــا

وهـــو الـــذي نـــزل القـــرآن فيـــه فـــسل
حـــم يـــس عـــم المرســـلات ســـبا
يـــا خـــاتم الأوصـــياء الغـــر يـــا خلفـــاً
بـــه الخلافـــة قامـــت لا تـــرى عقبـــا
يـــا نـــاصر الـــدين يـــا غـــوث الـــصريخ ويـــا
مجيـــب دعـــوة مـــن نـــاداه منتـــدبا
أنـــت الـــذي وعـــد الله العبـــاد بـــه
في آخـــر الـــدهر يجلـــو عـــنهم الكربـــا
وأنـــت مـــن تمـــلأ الـــدنيا عدالتـــه
كـــما مـــن الجـــور قـــدماً نالـــت النوبـــا
ولـــيس عنـــدي شـــك في حياتـــك بـــل
لـــولا وجـــودك في ذا الكـــون لانقلبـــا

* * * * *

فـــالغوث مـــن عـــصبة ضـــلت وقـــد تخـــذت
مـــن بغيهـــا وشـــقاها ديـــنكم لعبـــا
وألبـــستنا بـــما نالـــت ومـــا ابتـــدعت
ثـــوب الأســـى وعلينـــا الـــذل قـــد ضربـــا

وقـد أبـت أن تـرى مـن نـسلكم أحـداً
إلا أنالتـه مـن طغيانهـا العطبـا
وإن نـسيت فـلا أنـسى وحلمـك مـن
بكفـه أمـك الزهـرا قـد ضربـا
وألـصق البـاب أحـشاها وأضـغطها
ظلـماً وأسـقطها يـا عظـم مـا ارتكبـا
ومـن عـلى مـا حباهـا الله نازعهـا
وإرثهـا مـن أبيهـا المـصطفى غـصبا
ورد شـاهدها العـدل الـذي هـو في
أم الكتـاب عـليٌّ وافـترى كـذبا
ومـن دنـا نحـو بيـت الـوحي مجترئـاً
وقـد أتـى بجمـوع جمّعـت حطبـا
ليـضرم النـار فيـه وهـو يعلـم مَـن
فيـه ليبلـغ مـن مأمولـه الإربـا
يريـد إطفـاء نـور كـان متقـداً
والله عـما يريـد الظـالمون أبـى

وليـــتهم قنعـــوا منهـــا بـــما ارتكبـــوا
وإن يكـــن جـــل في الإســـلام مـــا ارتكبـــا
ولم يقـــــودوا عليـــــاً في حمائلـــــه
قـــود البعـــير بعـــين الله مكتئبـــا
ملبيـــاً بـــرداء الـــصبر مـــشتملاً
مـــــسلّماً أمـــــره لله محتـــــسبا
يـــدعى إلى بيعـــة كـــان الأحـــق بهـــا
مـــن الأُلى عبـــدوا الأوثـــان والـــصّلُبا
وأشربـــوا العجـــل حبـــاً في قلـــوبهم
وقلبـــه غـــير حـــب الله مـــا شربـــا
وخـــالفوا أحمـــد المختـــار حيـــث نهـــى
مـــن التخلـــف عنـــه حيـــثما ذهبـــا

أبا حسن

أبـا حـسن مـن بعـدك العـيش لا يـصفو

ولا الـدمع يرقـى لا ولا يغمـض الطـرف[1]

ومـن بعـدك المعـروف جُـذت أصـوله

ونـال فـروع الجـود مـن بعـدك القـصف

فهـذا الـذي قـد صـك نعيـك سـمعه

فـصم ومـن وجـه الهـدى جُـذع الأنـف

وهـذا التقـى قـد ذاب بالوجـد قلبـه

وتلـك يمـين المجـد فارقهـا الكـف

وإن المعـالي بعـد عينـك قـد زجـت

بأعينهـا سـحب لهـا بالـدما وكْـف[2]

---

(١) رقأ الدمع: (جف وسكن)، القاموس المحيط: ٥٢ ـ رقأ. (م).

(٢) يُقال: وكف البيت والعين: قطرا. القاموس المحيط: ١١١٣ ـ الوكْف. (م).

ومـــن عجـــب تقـــضي قتـــيلاً وأنـــت مَـــن

يخـالط قلـب الـشوس مـن ذكـره الرجـف[1]

ألـــست الـــذي قـــد بـــات يفـــدي محمـــداً

بمرقـــــده والمـــــشركين بـــــه حفـــــوا

ألـــست الـــذي جـــدلت عمـــراً ومرحبـــاً

وقلبـــك مـــا دانـــاه رعـــب ولا خـــوف

(١) الشوس: جمع الأشوس، وهو البطل الشجاع. (م).

نعاه العرش والكرسي

لا تقـــــل مـــــات عـــــلي إنـــــما
قلـــت خـــر العـــرش لا بـــل أعظـــم
بـــل نعـــاه العـــرش والكـــرسي والـــ
ـــــلّوح حزنـــــاً ونعـــــاه القلـــــم
بـــل نعـــاه الـــروح في جـــو الـــسما
وكـــسا الأفـــق الـــسحاب المظلـــم
ونعـــاه كـــل حـــي في الـــورى
وبكـــــاه حلّهـــــا والحـــــرم
ليتنـــــي أفديـــــه إذ عمّمـــــه
مـــن يـــدي شر البرايـــا مخـــذم[1]
ودعـــــاه وهـــــو في محرابـــــه
يخـــضب الـــشيبة والوجـــه دم

---

(١) السيف الخذِم والمِخذَم: القاطع. القاموس المحيط: ١٤٢١. (م).

قـــوضي يـــا وفـــده الرحـــل فقـــد
قـــوض الجـــود بـــه والكـــرم
يـــا بنـــي الزهـــراء مـــا قـــام لكـــم
بعـــد هـــذا اليـــوم يومـــاً علـــم
فلقـــد شـــتت ديـــن المـــصطفى
فهـــو للـــساعة لا يلتـــئم
فعجيـــب أي ركـــن بعـــد أن
هـــد ركـــن المجـــد لا ينهـــدم
وعجيـــب أي قلـــب بعـــدما
شـــق قلـــب الـــدين لا يـــنكلم[1]
فـــالورى مـــن بعـــده في حـــيرة
إنـــه فيهـــا الكتـــاب المحكـــم
عميـــت عـــين الهـــدى مـــن بعـــده
وأصـــاب الـــسمع منـــه صـــمم

(١) يقال: قلب مكلوم وكلِم: مجروح. القاموس المحيط: ١٤٩١ ـ الكلام. (م).

في الغريين

لا مرحبـــــاً بالعيـــــد لا مرحبـــــا
بعـــد مـــصاب نـــال أهـــل العبـــا
أيفـــــرح المـــــؤمن بالعيـــــد أو
يـــــستعذب المطعـــــم والمـــــشربا
وأهـــل بيـــت الـــوحي خـــير الـــورى
تفرقـــــوا في الأرض أيـــــدي سَـــــبا
فكـــم حـــوت طيبـــة مـــن طيـــب
مـــنهم وكـــم وارى ثـــرى يثربـــا
وفي الغـــــريين لهـــــم مـــــضجع
يـــــود فيـــــه البـــــدر أن يغربـــــا
واراه لكـــــن شـــــيبه مـــــن دم
ســـــيف المـــــرادي لـــــه خـــــضبا

الحسين وشهر محرم

لا مرحبـــاً بـــك يـــا محـــرم مقـــبلاً
بـــك يـــا محـــرم مقـــبلاً لا مرحبـــا[1]
فلقـــد فجعـــت المـــصطفى وأســـأت قلـــ
ـــــب المرتـــضى والمجتبـــى بـــالمجتبى
وتركـــت في قلـــب الزكيـــة فـــاطم
نـــاراً تزيـــد مـــدى الزمـــان تلهّبـــا
لله يومـــــك يـــــا محـــــرم إنـــــه
أبكـــى الملائـــك في الـــسماء وأرعبـــا
وأمـــاط أثـــواب الهنـــا مـــن آدم
فغـــدا بـــأبراد الأســـى متجلببـــا
وأصـــاب أحـــشاء الخليـــل بلوعـــة
وبنـــوح نُـــوح دمعـــه لـــن يحجبـــا

---

(١) انظر لطفه في دورانه.

حيث الحسين به استقل بكربلا
فرداً تناهبه الأسنة والظُّبا[١]
من عصبة قدماً دعته لنصره
فعدت عليه عداوة وتعصبا
فهناك جاد بفتية جادت بأنـ
ـفسها وجالدت العدى لن تذهبا
فترى إذا حمي الوطيس[٢] قلوبها
أقسى من الصخر الأصم وأصلبا
وتخال كل عرمرم[٣] من بأسه
عند اللقا كالليث صارت ثعلبا
فالرعد أعرب عن طراد عرابها[٤]
والبرق عن لمع البوارق أعربا[٥]

---

(١) الظُّبا: حد سيف أو سنان ونحوه. وأيضاً يقال: الظُّبَة. القاموس المحيط: ١٦٨٧ ـ الظبة. (م).

(٢) الوطيس: الحرب. ومنه قوله ﷺ: «الآن حمي الوطيس». (م).

(٣) العرموم: الشديد والجيش الكثير. القاموس المحيط: ١٤٦٧ ـ عرام. (م).

(٤) يقال لإجراء الفرس وتعويده على الجري: إعراب. فالخيل العِراب: هي المعتادة على الجري والطراد في ميادين الحرب. انظر القاموس المحيط: ١٤٥ ـ العرب. (م).

(٥) أعرب: أفصح وأبان. انظر القاموس المحيط: ١٤٥ ـ العرب. (م).

وغـــدت تنثّـــر مـــن أميـــة أرؤســـاً
ولهـــا الـــسما رعبـــاً تنثّـــر أشـــهبا
وتعـــانق البـــيض[١] الـــصفاح[٢] ولم تـــرد
منهـــا ســـوى ورد المنيـــة مطلبـــا
حتـــى إذا حـــان القـــضاء وغـــودرت
صرعـــى عـــلى تلـــك المفـــاوز والربـــى
أمـــسى الحـــسين بـــلا نـــصير بعـــدها
والقـــوم قـــد ســـدوا عليـــه المـــذهبا
ســـاموه أن يـــرد المنيـــة أو بـــأن
يعطـــي الدنيـــة والأبي بـــذا أبـــى
فغـــدا يـــريهم في النـــزال مواقفـــاً
مـــن حيـــدر بمهنـــد مـــاضي الـــشبا
لله صـــارمه لعمـــرك إنـــه
مـــا كَـــلّ يومـــاً في الكفـــاح ولا نبـــا

(١) جمع الأبيض، وهو السيف. القاموس المحيط: ٨٢٢ ـ الأبيض.
(٢) جمع الصّفح ـ بالفتح والضّم ـ : عرض السيف. القاموس المحيط: ٢٩٣ ـ الصفح. (م).

مـــن ضربـــه عجبـــت ملائكـــة الـــسما
مـــــن فوقـــــه ويحـــــق أن تتعجبـــــا
بـــــالله لـــــو بالـــــشم هـــــمّ تهايلـــــت
دكـــــاً وصـــــيّرها بهمتـــــه هَبـــــا

* * * * *

الحسين يقصد العراق

سرى والعـــــراق لـــــه مقـــــصد

وداعـــــي الفـــــراق لـــــه يرصـــــد

سرى ســـــبط أحمـــــد مـــــن طيبـــــة

وقـــــد طـــــاب فيهـــــا لـــــه المحتـــــد[1]

سرى خائفـــــاً مثـــــل موســـــى الكلـــــيم

يراقـــــب مـــــا تبتغـــــي الحـــــسّد

سرى خائفـــــاً وهـــــو للخـــــائفين

أمـــــان وللوافـــــد المرفـــــد[2]

سرى خائفـــــاً وهـــــو داعـــــي الإلـــــه

وهـــــادي البريـــــة والمرشـــــد

---

(١) المحتد هنا بمعنى الإقامة. القاموس المحيط: ٣٥٢ ـ حتد. (م).

(٢) الإرفاد: الإعانة، والمرفِد: المعين. القاموس المحيط: ٣٦١ ـ الرفد. (م).

سرى ومحيـــاه شـــمس الـــضحى
بليـــل هـــو الأبـــيض الأســـود
سرى فـــسرى البـــشر مـــن غالـــب
وبـــالحزن عاهـــدها المعهـــد
سرى فـــسرى الفخـــر مـــن هاشـــم
وفارقهـــا العـــز والـــسؤدد
سرى وإلى الحـــشر ذاك الـــسرى
حـــشا الـــدين مـــن نـــاره توقـــد
سرى والقلـــوب سرت خلفـــه
بحـــرّ جـــوى قـــط لا تـــبرد
سرى والنجائـــب[1] تقتادهـــا الـــ
ـــمنايا وأظفارهـــا المقـــود
سرى والركائـــب تحـــدو لهـــا
مـــن البـــين أطيـــاره الغـــرد
سرى بـــالفواطم في حالـــة
تـــصدَّع مـــن شـــجوها الجلمـــد[2]

(١) يُقال: ناقة نجيب ونجيبة أي من كرائم الإبل وأفرهها وأغلاها. (م).
(٢) الشجو: الحزن. (م).
الجلمد والجلمود: الصخر. القاموس المحيط: ٣٤٩ ـ الجلمد. (م).

سرى يقطـــــع البيـــــد في فتيـــــة

هـــــم الـــــصيد أنـــــتجهم أصـــــيد

عـــــلي وشـــــبلاه آبـــــاؤهم

ليـــــوث وهـــــم أسُـــــد لبّـــــد

وأورثهـــــم مـــــن عُـــــلا المكرمـــــات

عـــــليٌّ مكـــــارم لا تنفـــــد

وأصـــــحاب صـــــدق قـــــد اختـــــارهم

لـــــه الله مـــــن قبـــــل أن يوجـــــدوا

وســـــاروا حثيثـــــاً[1] كـــــأن الريـــــاح

تـــــزفهم والقـــــضا يُـــــسعد

أو الأرض تطـــــوى لهـــــم حيـــــثما

نـــــووا والهـــــضاب لهـــــم تهمـــــد

ولكـــــن قائـــــدهم قـــــادهم

إلى كـــــربلا إذ هـــــي المقـــــصد

(١) الحثيث والحثوث والحثحاث: السريع. القاموس المحيط: ٢١٣ ـ حثه. (م).

ومـــذ وطـــأت أرضـــها خـــيلهم

وضـــمهم ذلـــك الفدفـــد[1]

تعقـــرت الخيـــل عـــن جريهـــا

فقـــال انزلـــوا هاهنـــا الموعـــد

أنيخـــوا الجـــمال وحطـــوا الرحـــال

وبـــين المـــضارب لا تبعـــدوا

تمـــد الرقـــاب لـــضرب ولا

تمـــد إلى الـــسلم منـــا يـــد

ودون الـــذي رام منـــا بنـــو

أميـــة أن يُلمـــس الفرقـــد

ولم أنـــسه إذ غـــدا خاطبـــاً

ليبلـــوهم أيهـــم أرشـــد

وقـــال انـــسبوني وردوا الجـــواب

وقولـــوا الـــصواب ولا تجحـــدوا

---

(١) الفدفد: كلمة تطلق على الفلاة، والمكان الصلب الغليظ، والمرتفع، والأرض المستوية. القاموس المحيط: ٣٩٠ ـ الفديد. (م).

أهـــل فـــيكم مَـــن عـــلي أبـــوه

ســـواي ومـــن جـــده أحمـــد

مصاب الحسين ابن بنت النبي

غليـــل فـــؤادي لا يـــبرد ... ونـار الجـوى[1] منـه لا تخمـد
وقلبـي مـن الوجـد لا يـستريح ... وعيـشي مـا عـشت لا يرغـد[2]
لـذكرى مـصاب رمـى العـالمين ... بحـزن مـدى الـدهر لا ينفـد
مصاب الحسين ابـن بنـت النبـي ... ومـن هـو في العـالم المرشـد
مـصاب أصـيبت بـه المكرمـات ... أصـيب بـه المجـد والـسودد
أصـيب بـه الـدين ديـن الإلـه ... أصـيب بـه المـصطفى أحمـد
أصـيب بـه المرتـضىّ حيـدر ... وفـاطم والحـسن الأمجـد
أصـيب بـه الأنبيـاء الكـرام ... قـديماً فحـزنهمُ سرمـد
فمـن سـائل دمعـه بغتـة ... ومـن واجـد قلبـه مكمـد[3]

---

(١) الجوى: (هوى باطن، والحزن، والماء المنتن، والحرقة، وشدة الوجد، والسّل، وتطاول المرض، وداء في الصدر). القاموس المحيط: ١٦٤١ ـ الجوى. وبعض المعاني تناسب المقام هنا. (م).

(٢) العيش الرغد والرغَد: الواسع الطيب. القاموس المحيط: ٣٦١ ـ رغد. (م).

(٣) الكمد: (تغيير اللون، وذهاب صفائه، والحزن الشديد، ومرض القلب منه). القاموس المحيط: ٤٠٣ ـ الكمدة. (م).

ومن ناظر نظرة في النجوم فبات سقيماً بما يشهد
ومن سائل في مناجاته على طور سيناء من يعبد
عن المبتلى بالبلاء الذي دهى كلما كان أو يوجد
فقص عليه العليم الخبير من الرزء ما لم يكن يعهد
ومن طالب منه أن يبتلى بفقد عزيز له يولد
لتفسير كاف وهاء ويا وعين وصاد فما المقصد
ومن نائل فزعاً عابراً سبيلاً بلا سبب يوجد
سوى أنه حل في كربلا وفيها ابن فاطم يستشهد
فأعظم برزء له في القلوب إلى الحشر نار الأسى توقد

* * * * *

أمثل حسين إمام الهدى ينازعه فاجر ملحد
ويدعى إلى بيعة الظالمين وبالرغم عن داره يطرد
ويمشي غريباً بأرض الطفوف وفيها يكابد ما يكمد
ويبقى وحيداً بلا ناصر على أنه في الورى الأوحد
وآل أمية ملء الفلاة وليس له فيهم منجد
فكم قام يدعوهمُ للهدى فضلّوا السبيل ولم يهتدوا
ولهفي له حين ناداهمُ بصوت يذوب له الجلمد
أما من مغيث أما من مجير أما من معين لنا يسعد

فقامت لنصرته عصبة ... ترى القتل عزاً به تسعد
تميس[١] من البشر في نشرة[٢] ... كما ماس في جلوة[٣] أغيد[٤]
إذا ذكرت مُرّ وِرد الردى ... يطيب لها الورد والمورد
كأن المنايا بحرّ الحديد ... بأفواهها الثلج بل أبرد
بنفسيَ هم إذ تناخوا لها ... وعنهم رجاء البقا أبعدوا
تواصوا على الموت دون الحسين ... وعافوا الحياة وإن خُلّدوا
رجالٌ بما وعدوا قد وفوا ... وقد صدقوا الله ما عاهدوا
وصانوا مصونات آل الرسول ... وفي حفظها هان أن يفقدوا
وقد جعلوا نصب عينيهم ... حسيناً وجادوا بما يوجد
ولولا انتظارهمُ أمرِه ... لما ضمهم ليلة مرقد

---

(١) الميس والميَسان والتميّس: التبختر. القاموس المحيط: ٧٤٣ ـ الميس. (م).

(٢) النثرة: من معانيها: الخيشوم وما والاه، أو الفرجة بين الشاربين حيال وترة الأنف، .. وهي أنف الأسد، والدرع السلسة الملبس). القاموس المحيط: ٦١٦ ـ نثر. والمعنى الأخير هو المناسب. (م).

(٣) الجلوة: الزفاف. يقال: جلا العروس على بعلها جَلوة: زفت إليه. القاموس المحيط: ١٦٤٠ ـ جلا. (م).

(٤) الأغيد والغيداء: المتثني والمتثنية ليناً. القاموس المحيط: ٣٨٩ ـ غيد. (م).

ولم يـــك يومـــاً لأســـيافهم ... لدى الرَّوع[١] غير الطّلا[٢] مغمد
ومـــا هجعـــت عيـــنهم طرفـــة ... وهـــل عاشـــق عينـــه تهجـــد
أتلتـــذ أعيـــنهم بـــالكرى ... وعـــين العـــدو لهـــم ترصـــد
ولمـــا نـــأى عـــنهم مـــا بهـــم ... مـــن الـــصبر واقـــترب الموعـــد
وبـــشّرهم بالفنـــا في غـــد ... وذاك المنـــى وهـــو المقـــصد
تنـــادوا بـــأن التنـــائي غـــداً ... لـــك الـــسوء مـــن طـــالع يـــا غـــد
وثـــاروا حـــرار الحـــشا مـــن ظـــمأ ... وقـــالوا المنـــون لنـــا مـــورد
وشـــدوا فـــسدوا رحـــاب الفـــضا ... عـــلى قلـــة الجمـــع قـــد أفـــردوا
فواحـــدهم في قبـــال الجمـــوع ... جمـــوع وجمعهـــم مفـــرد
صـــقور معلمـــة في الطـــراد ... وإمـــا جثـــوا هـــضّب وطّـــد
صـــواعق إن ركبـــوا الـــصاهلات ... يثـــور لهـــا عثـــير أســـود
كـــأن العجاجـــة مـــن تحتهـــا ... وأصـــواتها ســـحُب ترعـــد
وقـــد رفعـــوا للـــسما مثلهـــا ... وأرضاً عـــلى الأرض قـــد مهـــدوا
جـــسوماً مـــن الـــدم مخـــضوبة ... يمـــوج لهـــا بحـــره المزبـــد
لقـــد بـــذلوا النـــصح لكـــنهم ... سوى الفـــوز بالقتـــل لم يقـــصدوا

---

(١) الرَّوع: الفزع. القاموس المحيط: ٩٣٤ ـ الروع. (م).
(٢) الطُّلا: جمع مفرده طُلية أو طُلاة، وهـي الأعنـاق أو أصـولها. القـاموس المحـيط: ١٦٨٦ ـ طلى. (م).

فأُقسم ما شاقهم للردى ... جنان ولا حورها الخرّد[١]
ولا الغرف العاليات التي ... أُعدت لهم قبل أن يولدوا
ولا ما بها من مقيم النعيم ... وإن شاهدوا منه ما شاهدوا
ولا خوف حر الجحيم التي ... بها الناس عن حطب تُوقَد
ولكنّ دعوة داعي الإله ... دعتهم إلى الموت فاستشهدوا
وخروا بترب الفلا سجداً ... كأن الفلاة لهم مسجد
وباتوا سكارى بخمر الردى ... وقد وردوا كالذي أوردوا
وباتوا نشاوى[٢] ولكنهم ... بغير ثرى الطف ما وسدوا
وناموا فيا لك من نومة ... لها قد تفطرت الأكبد

* * * * *

(١) الخرّد: جمع مفردة الخرود، وهي (البكر التي لم تمسس، أو الخفِرة الطويلة السكوت، الخافضة الصّوت المتسترة). القاموس المحيط: ٣٥٦ ـ الخريد. (م).

(٢) النشاوى: جمع نشوان ونشيان: سكران بيّن النشوة. القاموس المحيط: ١٧٢٥ ـ نشى. والمعنى: أنهم ذابوا في حبّ سيّدهم فكأن ذلك الحب أذهب عقولهم. كما حصل مع عابس الشاكري عندما قاتل حاسراً بغير درع، فلما قيل له في ذلك قال: (إن حبّ الحسين أجنّني). (م).

العباس بن علي

لم أنسَ إذ صال في يوم النزال على الـ
أبطال من هو للآجال مخترِمُ
هو الفتى شبل ذاك الليث حيدرة
من لا فتى غيره في الروع يقتحم
هو المهذب والقِرم[1] المجرب في
يوم اللقا عابس في السلم مبتسم
هو المفضل من للفضل كان أباً
والمكرمات إذا عدت له شيم
شهم هزبرٌ[2] جريٌ في الوغى أسدٌ
وفي الدجى قمرٌ تجلى به الظلمُ

---

(١) القِرم والأقرم: السيد، والجمع قروم. القاموس المحيط: ١٤٨١ ـ القرم. (م).

(٢) الهِزبر: من معانيها: (الأسد، والغليظ الضخم، والشديد الصلب، والجمع هزابر). القاموس المحيط: ٦٤٠ ـ الهزبر. (م).

لـــه مقاعـــد صـــدق عنـــد مالكـــه
وفي المواقـــف مـــا زلـــت لـــه قـــدم
تخالـــه إن ســـطا الأبطـــال صـــاعقة
مـــن صـــوته حـــل في آذانهـــا صـــمم
تفـــر مـــن ســـيفه رعبـــاً فيـــسبقها
فيغتـــدي بعـــضها بـــالبعض يـــنحطم
والمـــوت يعقلهـــا والـــسيف يـــستلب الـــ
أرواح منهـــا وعزرائيـــل يـــستلم
لم تـــدر مـــن دهـــشة أعمارهـــا هـــي بالـــ
ـــزلزال أم صـــارم العبـــاس تنـــصرم
أعظِـــم بـــه بطـــلاً لم يثنـــه وجـــل
كـــلا ولم يلـــوه كَـــلّ ولا ســـأم
ولا الجمـــوع وإن لم يحـــصَ عـــدهم
ولا الأســـنة والهنديـــة الخُـــذُم[1]
لـــو كـــان همتـــه محـــو العـــداة لمـــا
صـــالوا عليـــه ولم يرفـــع لهـــم علـــم

(١) الخذُم: القاطعة. (م).

لكـــنما في القـــضا دون ابـــن فاطمـــة
بقتلـــه قـــد جـــرى في لوحـــه القلـــم
وأن مـــسطوره قـــد حـــل موعـــده
وحـــان مـــا أحكمتـــه في الـــورى الحكـــم
فكـــرَّ ذو الفـــر واســـتولى الـــذباب عـــلى الـــ
ـــليث الهزبـــر وصـــاد الباشـــق الـــرَّخم
فخـــر لـــلأرض ذاك الطـــود منعفـــرا
الله كيـــف الـــرواسي الـــشم تنهـــدم
وصـــاح مستـــصرخاً غـــوث الـــصريخ أبـــ
ـــيّ الـــضيم مـــن هـــو للاجـــين معتـــصم
أخـــي فـــديتك أدركنـــي لعـــلّي مـــن
رؤيـــا محيـــاك قبـــل المـــوت أغتـــنم
فـــانقض كالـــصقر إذ وافى فريـــسته
وفي الحـــشا منـــه نـــار الحـــزن تـــضطرم

وشـــق بالمـــشرفي[1] العـــضب جمعهـــم
وصـــاح أيـــن المفـــر اليـــوم ويلكـــم
قتلـــتم ابـــن أبي تبـــاً لكـــم فلقـــد
قـــصمتم اليـــوم ظهـــري لا أبـــاً لكـــم
ومـــذ رأى ذلـــك الجـــسم الـــصريع رأى الـــ
ـــخطب الفظيـــع وأوهـــى قلبـــه الألم
رآه منجـــدلاً في الـــترب منفـــصلاً
مـــا كـــان متـــصلاً كفـــاه والعلـــم
والنبـــل في جـــسمه كالـــشوك مـــشتبك
ورأســـه بعمـــود البغـــي منقـــسم
فظـــل يندبـــه والـــدمع منـــسجمٌ
والقلـــب مـــنكلمٌ والظهـــر منقـــصمُ

* * * * *

(١) المشرفي: سيف ينسب إلى قرى من قرى الشام من أرض العرب تدنو من الريف. القاموس المحيط: ١٠٦٥ ـ الشرف. (م).
والعضب: القطع والضرب والطعن. القاموس المحيط: ١٤٨ ـ العضب. (م).

يا ذوي العزم والحمية حزماً

يـــا محـــث القلـــوص[1] خـــلّ سراهـــا
إن تعـــج نحـــو طيبـــة بحـــداها
وانتـــدب مـــن شـــبابها كـــل نـــدب[2]
مـــن بنـــي شـــيبة أُســـود شَراهـــا
وانـــخَ مـــن شـــيبة وآل نـــزار
ولـــؤِي وغالـــب علياهـــا
واقـــترح قـــائلاً بحرقـــة قلـــب
مقـــرح والعيـــون ينهـــلّ ماهـــا
يـــا ذوي العـــزم والحميـــة حزمـــاً
لخطـــوب دهـــاكم أدهاهـــا

---

(١) القلوص: من الإبل من معانيها: (الشابة أو الباقية على السير، أو أول من يركب من إناثها إلى أن تثني.. والناقة الطويلة القوائم). القاموس المحيط: ٨١٠ ـ قلص. (م).

(٢) الندب: (الخفيف في الحاجة، السريع الظريف). القاموس المحيط: ١٧٥ ـ الندبة. (م).

فلقـــد أصـــبحت أمـــي المخـــازي

ثوبهـــا البغـــي والـــرداء رداهـــا

تـــشحذ البـــيض إذ تـــشحذ منهـــا

مـــن شـــقاها علـــيكم أشـــقياها

علمـــت بالهـــدى لـــديكم ولكـــن

قـــد دعاهـــا إلى العمـــى مـــن دعاهـــا

فانتـــضوها صـــوارماً أغمـــدتها

في رقـــاب لكـــم فبلّـــت صـــداها

جـــذعت مـــنكم الأُنـــوف جهـــاراً

فاشـــتفت إذ بـــذاك كـــان شـــفاها

فانهـــضوا مـــن ثـــراكم واملـــؤوا الـــ

أرض جيـــاد العتـــاق تطـــوي فلاهـــا

وابعثـــوا الـــسابحات تـــسحب ذيـــلاً

مـــن دلاص[1] لكـــم برحـــب فـــضاها

(١) الدرع الدلاص: الملساء واللّينة. القاموس المحيط: ٧٩٩ ـ دلص. (م).

وامتطـــوا قِبهـــا[1] ليـــوم نـــزال
وانتـــضوا مـــن ســـيوفكم أمـــضاها
لـــــست أدري لم القعـــــود وبالـــــ
ـــــطف حـــسين أقـــام في مثواهـــا
أبالجـــــبن عـــــراكمُ أم لـــــذلٍّ
أم لخـــوف مـــن الحـــروب لقاهـــا
لا وحاشـــــاكمُ وأنـــــتم إذا مـــــا از
دحمـــت في النـــزال قطـــب رحاهـــا
إن زجـــرتم برجهـــا العـــرب غـــضباً
أعربـــت عـــن زجـــير رعـــد ســـماها
أو تـــشاؤون خـــسفها لجعلـــتم
بـــالمواضي علوهـــا أدناهـــا
أفيهنـــى الرقـــاد يومـــاً إلـــيكم
وأمـــيٌّ أتـــت بظلـــم تنـــاهى
فلعمـــرو العـــلى لقـــد جـــرعتكم
كـــربلا كـــاس كربهـــا وبلاهـــا

(١) القبب: (دقة الخصر وضمور البطن). القاموس المحيط: ١٥٦ ـ قب. (م).

يـــوم أمـــسى زعـــيمكم مستـــضاماً
يـــصفق الكـــف حـــائراً بفلاهـــا
لـــست أنـــساه حـــين ظـــل فريـــدا
يلتقـــي مـــن عـــداه ضرب ظباهـــا
حولـــه فتيـــة تخـــال المنايـــا
دونـــه كـــالرحيق أذبـــل فاهـــا
وتـــرى الحـــرب حـــين تـــدعى عروســـاً
خطبتهـــا الـــصفاح ممـــن دعاهـــا
ولهـــا الـــروس إذ تنـــاثر مهـــر
وخـــضاب الأكـــف ســـيل دماهـــا
وتـــداعت بـــشراً بحـــيّ عـــلى المـــو
ت رجـــال ترجلـــت للقاهـــا
مـــا ثنـــت عِطفهـــا[1] مخافـــة مـــوت
لا ولا استـــــسلمت إلى أعـــــداها
لم تـــــزل هكـــــذا إلى أن دعتهـــــا
حكمـــة شـــاء ربهـــا أمـــضاها

(١) عِطف كل شيء: جانبه. يعني ما أدبرت لعدوها. (م).

فثـــوت كالبـــدور يتبـــع بعـــضاً
بعـــضها أفـــلاً فغـــاب ضـــياها
وبقـــي مفـــرداً يكابـــد ضربـــا
بعـــدها مـــن أميـــة شـــبل طـــه
بـــأبي علـــة للوجـــود وحيـــداً
يـــصطلي في الحـــروب نـــار لظاهـــا
إن غـــدا في العـــدى يكـــر تخـــال الـــ
ـــموت يـــسعى أمامهـــا ووراهـــا
حـــالف المـــشرفي أن لا يـــراه
في ســـوى الـــروس مغمـــداً إذ براهـــا
وحمـــى دينـــه فلـــما أتتـــه
دعـــوة الحـــق طائعـــاً لباهـــا
فرمـــاه الـــضلال ســـهماً ولكـــن
جـــل في أعـــين الهـــدى فعماهـــا
وهـــوت مـــذ هـــوى ســـماء المعـــالي
وجبـــال المهـــاد هـــد ذراهـــا

وادلهـــمّ[1] النهـــار وانخـــسف البـــد
ر ونـــال الكـــسوف شـــمس ضـــحاها
بـــأبي ثاويـــاً عـــلى الأرض قـــد ظـــل
لهيـــــب الفـــــؤاد في رمـــــضاها
مـــا لـــه ســـاتر ســـوى الـــريح منهـــا
قـــد كـــساه دبورهـــا وصـــباها

* * * * *

وبنفـــسي حرائـــر دهـــشت مـــن
هجمـــة الخيـــل بعـــد فقـــد حماهـــا
بـــرزت والفـــؤاد يخفـــق شـــجواً
حـــسّراً بعـــد خـــدرها وخباهـــا
بيـــدٍ وجههـــا تغطيـــه صـــوناً
وبـــأخرى تـــروم دفـــع عـــداها

* * * * *

(١) ادلهمّ: كثف واسودَّ. القاموس المحيط: ١٤٣١ ـ ادلهم. (م).

الفاطميات

وثاكلـــــــة تـــــــسلّيها عـــــــداها

بـــضرب الـــسوط والـــصوت المهيـــل

وتؤنـــــسها بـــــما يـــــدمي حـــــشاها

ويوجـــــع قلبهـــــا مـــــن شر قيـــــل

وتـــــسعدها إذا نـــــدبت حماهـــــا

بـــــسب حميهـــــا الـــــبر الوصـــــول

وتزعجهـــــا إذا دخلـــــت خباهـــــا

وكـــــان خباؤهـــــا مـــــأوى الـــــدخيل

وتـــــضر بهـــــا إذا أخفـــــت بكاهـــــا

فـــــتعلن بالنحيـــــب وبالعويـــــل

وتنهرهـــــا إذا ســـــلبت رداهـــــا

فتلـــــوي جيـــــدها نحـــــو الجليـــــل

تجاذبهـــــا إذا امتنعـــــت حلاهـــــا

فتعـــــدو بالعويـــــل إلى العليـــــل

فتـــــشكو بؤســـــها ممـــــا دهاهـــــا

لـــــه فتعـــــود بـــــالحزن الطويـــــل

وتلـــــوي الجيـــــد نادبـــــة أباهـــــا

عـــــلي المرتـــــضى صـــــنو الرســـــول

أبي هـــــذي بناتـــــك في ســـــباها

بـــــأرض الطـــــف فاقـــــدة الكفيـــــل

وتلـــــك بنـــــوك في رمـــــضا ثراهـــــا

مجدلـــــة عـــــلى حـــــر الرمـــــول

وتلـــــك عـــــداك قـــــد نالـــــت مناهـــــا

فعـــــادت منـــــك بـــــاردة الغليـــــل

في مجلس يزيد

لقد أشرقت من صلب هاشم لا السما
بدور بأرض الطف أغنت عن البدر
سوى أنها من وصمة النقص أُعريت
ولم تر حاشاها الأفول مدى العمر
لقد قابلت شمس الهداية فاكتست
ضياء أفاضته على الأنجم الزهر
فلو تركتها في الحياة أمية
أرتها الليالي البيض في آخر الشهر
ولكنها خاضت بها بحر عندم
إلى أن عراها الخسف في ذلك البحر
ولم ير منها الانجلا غير أنها
تجلت لرائيها على أرؤس السمر

وأعجـــب شيء أنهـــا تلـــو شمـــسها
بآفـــاق كوفـــان بـــلا فلـــك تـــسري
ومـــن خلفهـــا فـــوق المطـــي عقائـــل[١]
لأحمـــد مـــن مـــصر تـــساق إلى مـــصر
بـــلا كافـــل يحمـــي حماهـــا فـــلا تـــرى
سوى الزجر من زجر أو الضرب من شمر
وأعظـــم مـــا يـــشجي ويـــودع في الحـــشا
حـــرارة وجـــد دونهـــا لذعـــة الجمـــر
تـــصدقُ أعـــداها عليهـــا شـــماتة
لمـــا نالهـــا بـــالخبز والجـــوز والتمـــر
وتـــدخل في زي الـــسباء كأنهـــا
إمـــاء تـــسام البيـــع في مجلـــس الغـــدر
يطـــاف بهـــا الأســـواق وهـــي حـــواسر
ومـــا عرفـــت غـــير التحجـــب والخـــدر
وتوقـــف في ذل الـــسباء بمجلـــس
حـــوى كـــل جبـــار ورجـــس وذي عهـــر

(١) عقائل: جمع عقيلة، وهي (الكريمة المخدرة). القاموس المحيط: ١٣٣٧ ـ العقل. (م).

فمـــن ســـائل جهـــلاً بهـــا وتجـــاهلاً
بـــما خـــصها الـــرحمن مـــن عظـــم القـــدر
ومـــن ضـــاحك يفـــشي المـــسرة شـــامتاً
ومـــستهزىء يبـــدي القبـــيح مـــن العـــذر
ومـــستوهب مـــن آل أحمـــد حـــرة
أبـــت غـــير ثـــوب العـــز صـــوناً أو القـــبر

* * * * *

وزاد يزيـــد الـــرجس في الـــدين بدعـــة
بطغيانـــه لم تجـــر في ســـالف الـــدهر
فأحـــضر رأس ابـــن النبـــي محمـــد
وبـــين يديـــه آلـــة اللهـــو والخمـــر
فيلعـــب طـــوراً ثـــم يـــشرب تـــارة
عليـــه ويهـــوي بالقـــضيب عـــلى الثغـــر
وينكتـــه جهـــراً ويهتـــف قـــائلاً
ألا قـــد أخـــذنا ثـــار مـــن كـــان في بـــدر
فهـــا نحـــن يـــا أشـــياخ بـــدر لثـــاركم
نفلّـــق هامـــاً مـــن رجـــال بنـــي فهـــر

ويـــبرز مـــا أخفـــى مـــن الكفـــر منـــشداً
إذا أخذتـــه سَـــورة الخمـــر بالـــسكر[1]
لقـــد لعبـــت بالملـــك هاشـــم برهـــة
تظـــن بـــأن الحكـــم في يـــدها يجـــري
وتـــــزعم أن الله أوحـــــى لأحمـــــد
وعترتـــه مـــا كـــان في عـــالم الـــذر
فـــلا وحـــي مـــن ربٍّ ولا خـــبر أتـــى
ولا كـــان مـــن نهـــي هنـــاك ولا أمـــر
فيـــا ذلـــة الـــدين الحنيفـــي بعـــدما
تبـــدّل منـــه الرفـــع والنـــصب بالكـــسر

(١) سَورة الخمر وغيرها: حدّتها. القاموس المحيط: ٢٥٧ ـ سورة. (م).

إلى المدينة

رمـــت آل طـــه حادثـــات النـــوازل
بـــأرزاء لم يعهـــد لهـــا مـــن مُعـــادِلِ
فطبقـــت الـــدنيا رزايـــاهم التـــي
إذا ذكـــرت أنـــست رزايـــا الأوائـــل
وزاد فـــؤادي لوعـــة أثـــر لوعـــة
وأودع في قلبـــي جـــوى غـــير زائـــل
رجـــوع بنـــات المـــصطفى بعـــد ســـبيها
مـــن الـــشام تطـــوي البيـــد مـــن غـــير كافـــل
عـــلى هـــزّل وهـــي اللـــواتي تعـــودت
بطـــون خـــدور لا ظهـــور هـــوازل
لقـــد أخرجـــت مـــن دارهـــا بـــين أهلهـــا
بعـــزٍّ وآبـــت بـــين أيـــدي الأراذل

ولمـــا دنـــت منهـــا منـــازل طيبـــة
ولاحـــت لهـــا أبياتهـــا في المحامـــل
تجـــدد فيهـــا الوجـــد وانهـــلّ دمعهـــا
وناحـــت نيـــاح الفاقـــدات الثواكـــل
ونـــادت بـــصوت والـــشجا مـــلء قلبهـــا
لـــه لهبـــات في الحـــشا كالمـــشاعل
أيـــا دارنـــا لا تقبلينـــا فإننـــا
أتينـــاك بـــالأرزاء لا بالنوائـــل
ومـــذ دخلـــت تلـــك المنـــازل أظهـــرت
لهـــا مـــضمراً مـــن حزنهـــا المتـــداخل
وظلّـــت تـــدير الطـــرف فيهـــا فـــلا تـــرى
ســـوى البـــوم تنعـــى والأثـــافي[1] العواطـــل
فراحـــت تناجيهـــا بقلـــب مـــوزع
ولـــبّ[2] مـــن الأرزاء والوجـــد ذاهـــل

---

(١) الأثافي: جمع الأثفية بالضم والكسر، وهو (الحجر يوضع عليه القدر). القاموس المحيط: ١٠٢٢ ـ الأثفية. (م).

(٢) اللب: العقل. (م).

تسائلها والدمع في الخد سائل
منازل أهلي أين أهل المنازل
وأين الألى كانت تضيء وجوههم
كأقمار تُمّ فيك غير أواهل
وأين الألى أحيوا لياليك طاعة
لربهم في فرضهم والنوافل
وأين الأُلى كانوا إذا أجدب الورى
أكفهم مثل السحاب الهواطل
وأين الأُلى كانت وقد عم فضلهم
فواضلهم مقرونة بالتضائل[1]
وأين أولوا الألباب من كل فاضل
وأين ليوث الغاب من كل باسل
وأين أمان الدار من كل طارق
وأين حماة الجار مأوى النوازل

(١) هكذا، وفي الأزهار الأرجية، المجلد١، ج ٢: ٣٧٨. بالفضائل. (م).

وأيــن أُبــاة الــضيم مــن قــد عهــدتهم
(ثــمال اليتــامى عــصمة للأرامــل)
لقــد عقمــت أم النــوال عقيــبهم
فــما أَمّهــا للنيــل طالــب نائــل
ولا حــطّ فيهــا الرحــل بعــد ارتحــالهم
نزيــل ولا مــدت بهــا كــف ســائل
أهــل لــك علــم يــوم حــان ارتحــالهم
بــما أزمعــوه عنــد شــد الرواحــل
أهــل لــك علــم يــوم ســاقوا ظعــونهم
إلى أيــن قــادتهم حــداة[1] القوافــل
وأيــن اســتقلوا بــالنزول وخلّفــوا
ربوعــك قفــراً دارســات المحافــل
فقــولي بــصدق إن تكــوني عليمــة
بهــم وأجيبــي عــاجلاً عــن مــسائلي
فــإن لم تجيبينــي أجبــك فــإنني
بهــم لخبــير بــل وأصــدق قائــل

(١) الحداة: جمع الحادي، وهو سائق الإبل. القاموس المحيط: ١٦٤٣ ـ حدا. (م).

تـــركتهم صرعـــى بعرصـــة كـــربلا
بتلـــك الربـــى قـــد جـــدلوا والجنـــادل[١]
جـــسومهم مثـــل الأضـــاحي عـــلى الثـــرى
وأرؤســـهم كالـــشهب فـــوق العواســـل[٢]
أولئـــــك قـــــومي لا أرى لمثـــــالهم
وقـــد حـــل قلبـــي في الـــورى مِـــن مماثـــل
وغـــابوا ولكـــن نـــصب عينـــي خيـــالهم
كـــأن الـــذي قـــد حـــل لـــيس بحائـــل
إذا ذكـــــرت نفـــــسي شـــــمائل فتيتـــــي
يـــرف فـــؤادي نحـــو تلـــك الـــشمائل
وإن نظـــرت عينـــي إلى البـــدر مـــشرقاً
ذكـــرت وجوهـــاً كالبـــدور الكوامـــل
ســـموت بهـــم عـــزاً وطاولـــت رفعـــة
وقابلـــت فخـــراً عاليـــات القبائـــل

(١) الجنادل: جمع الجندل، وهي الأرض التي تجتمع فيها الحجارة. القاموس المحيط: ١٢٦٦ ـ جندل. (م).

(٢) العواسل: جمع العاسل والعسال، وهو الرمح. القاموس المحيط: ١٣٣٤ ـ العسل. (م).

جعلـــــتهم ذخـــــراً لنازلـــــة الـــــبلا

وقـــــد طرقتنـــــي اليـــــوم أُم النـــــوازل

فهـــــا أنـــــا ولهـــــى لا أطيـــــق تـــــصبراً

وهيهـــــات أن أصـــــبو إلى عـــــذل عـــــاذل

نهاية المطاف

يقف القلم عن جريه عند هذا الحد من حياة مترجمنا وفقيدنا الغالي ﷺ، إذ هو كل ما أحطنا به خبراً من تاريخه المفعم بالخيرات الموجبة لشعبه كل تقدم باهر، فهي نبذة من حياة ذلك البطل الخالد الذي هو في الطليعة من علماء بلادنا الأعلام (أعلى الله مقامهم)، دفعني إلى تحريرها الواجب الديني أولاً وبالذات والوطني ثانياً وبالعرض، لم يحفزني عليها قريب أو بعيد ولم يحررها قلم مستأجر يكيل الألقاب كيل الصاع، لا أبتغي إزاء ذلك حمداً ولا شكوراً ممن قرب أو بعد، إذ لا شكر على واجب، حامداً ربي سبحانه على ما وفق من إيجاد هذا التراث الغالي والأثر الخالد، ولم أكن في الواقع ذلك الذي يمكن أن يقوم بهذه المهمة ولم أكن من فرسانها ولا من أبطالها؛ ولكن (على قدر أهل العزم تأتي العزائم)، وإلا فحياة مترجمنا أجلّ من أن تكون في مثل هذه الدائرة الضيقة؛ بل هي أوسع من ذلك بكثير؛ ولكن إعواز المصادر يؤدي إلى هذا وأكثر، وكيف كان فلا يسقط الميسور بالمعسور، وما التوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وأستغفر الله من كل زلل وخطل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله سادات الأواخر والأُول، سائلين المولى ﷻ أن يجعلنا من الذين آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم
علي الشيخ منصور المرهون
نزيل النجف
١٤/ ٧/ ١٣٧٥هـ.

الفهرس

تقريض ٧
١ ـ نسبه ومولده وموطنه ١٧
٢ ـ نشأته واشتغاله ١٩
٣ ـ هجرته وإقامته وإجازاته ٢٠
٤ ـ أثناء إقامته في العراق ٢٣
٥ ـ أخلاقه ٢٥
٦ ـ في الوطن ٢٦
٧ ـ مكانته العلمية وآثاره ٣٠
٨ ـ وفاته وتأبيناته ٣٣
قد أثكل الدين الحنيف ٤٢
ولا ينبئك مثل خبير ٤٦
عنوان الفضيلة ٥١
البطل الخالد ٥٥
٩ ـ ماذا خلف لنا ٥٧
عبقريته الأدبية ٥٩
فاطمة الزهراء ٦١

يا ناصر الدين..... ٦٢
أبا حسن..... ٦٧
نعاه العرش والكرسي..... ٦٩
في الغريين ٧١
الحسين وشهر محرم ٧٢
الحسين يقصد العراق ٧٦
مصاب الحسين ابن بنت النبي ٨١
العباس بن علي ٨٦
يا ذوي العزم والحمية حزماً ٩٠
الفاطميات ٩٦
في مجلس يزيد..... ٩٨
إلى المدينة ١٠٢
نهاية المطاف ١٠٩
الفهرس..... ١١١